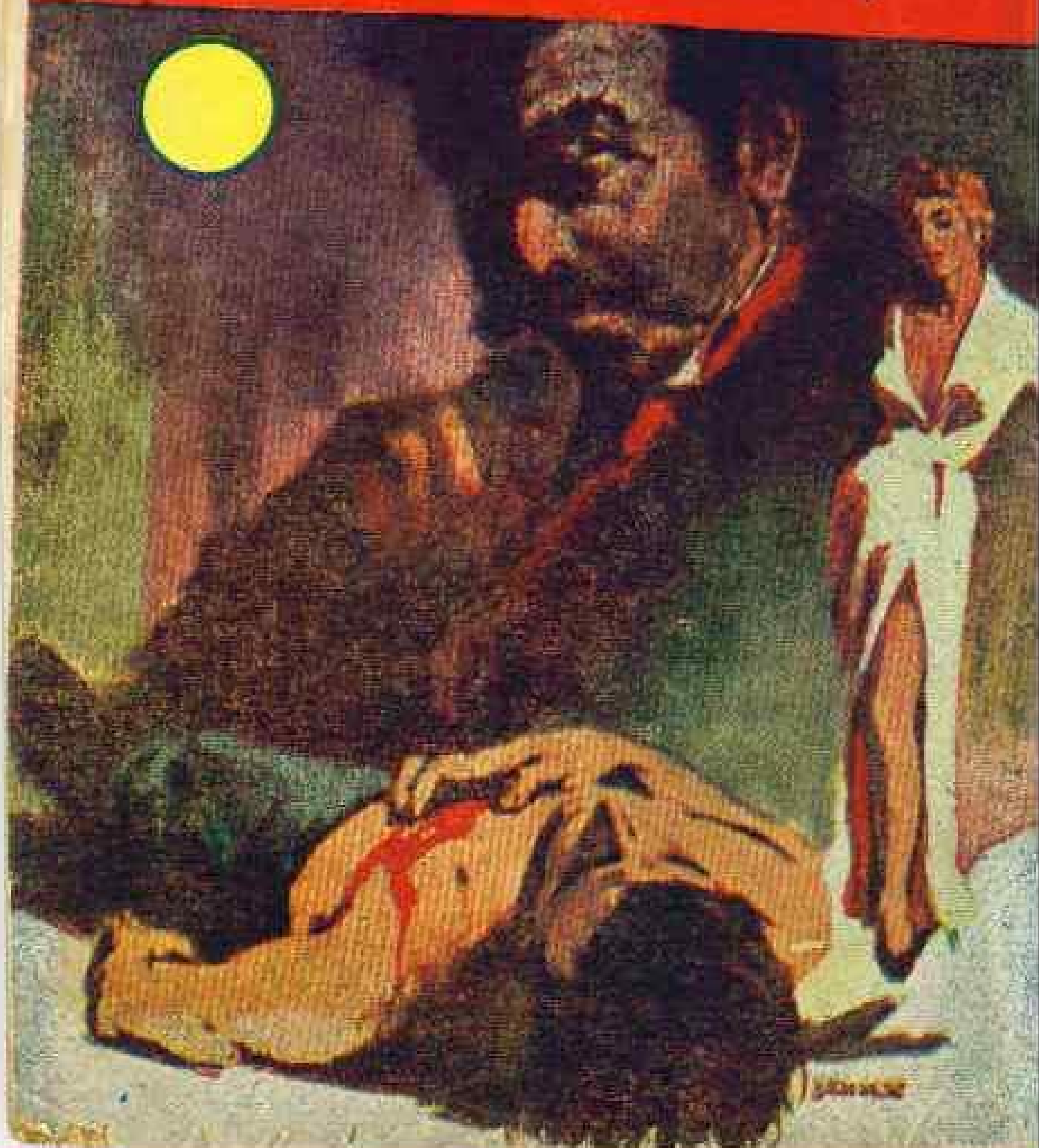
مغامرات أرسين لوبين

صاحبة الملايين



الفصل الأول

المطرب والمريض

اقترب الشرطى ببطء من الرجل الطويل القامة الذى وقف على قارعة الطريق ، وراح يغنى فجأة بصوت مسموع ، مترنما بأنشودة لا هى بالانجليزية ، ولا هى بالفرنسية .

ومازال الشرطى يقترب حتى أصبح على قيد خطوة من هذا المطرب العجيب ، وعندئذ تكلم بغتة بلهجة رزينة هى لهجة الرجل الذى يعرف كيف يمثل القانون فى شارع مقفر فى الساعة الثانية صباحا .

قال :

ـ كفى ، كفى ضوضاء ياهذا .

فصمت الرجل فى الحال ، وتحول نحو الشرطى ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة خلابة .

قال فى أدب :

ـ طاب مساؤك ، أو طاب صباحك ياسيدى .

فسأله ممثل القانون :

ـ هل تتصور نفسك على خشبة المسرح ؟

فاجابه الرجل وهو لايزال يبتسم :

ـ بل كنت اتصور نفسى راكبا جملا اشق به جوف الصحراء .

فصعده الشرطى بنظرة ارتياب .

ولكن لم يكن فى مظهر الرجل مايريب .

كان طويل القامة رشيق .. لمندام .. لاتدل حركاته أو تقاطيع وجهه على انه أسرف فى الشراب .

رفع ممثل القانون رأسه بحدة وقال :

ـ ولكن ليس من المسموح لك ان تنهق فى الشوارع هكذا فى الساعة الثانية صباحا .

فاجابه الرجل بصوت حزين :

ـ أنا لم أنهق ، لقد كنت أغنى .

فقال الشرطى باصرار :

ـ قلت لك انك كنت تنهق .

فهز الرجل رأسه فى أسف ، وأخرج من جيبه علبة تبغ تبطن اكثر مما تظهر ، وتناول منها لفافة «بريشة» قدمها إلى ممثل القانون ووضع بين شفتيه لفافة بريشة اخرى من النوع الذى قدمه للشرطى ، وقال :

ـ مهما يكن من امر فانك شخصيا لا يسعك الا أن تنهق طربا متى رأيت مريضا يدخل أحد المنازل محمولا على الاعناق فى حين انه ليس مريضا .

فقطب ممثل القانون حاجبيه ، وغمغم :

ـ اذا صح هذا كان وراء الأكمة ماوراءها .

فقال الرجل :

ـ وهذا ماخطر لى ، ولما كنت شغوفا باستطلاع ماوراء الأكام ، فلم أتمالك من ان اغنى ، او ـ على حد تعبيرك ـ من ان انهق

طربا حين رأيت هذا المريض ، الذى ليس مريضا .
فنظر اليه الشرطى بارتياب مرة أخرى ثم سأله فى رفق :

ـ هل انت واثق من انك لم تفرط فى الشراب ؟

فأجابه الرجل وهو يبتسم :

ـ اذا فرضنا انى اسرفت فى الشراب والنتى مع ذلك احسب حساب الطوارىء ولهذا ارجوك ان تلاحظ بانى سأدخل المنزل الذى حمل اليه المريض وأنا سليم معافى ، محتفظ بكامل قواى العقلية والجثمانية .

وليس فى نيتى أن امكث باختيارى فى هذا المنزل أكثر من نصف ساعة ، فاذا ما انتصف الساعة الثالثة ولم اخرج سالما معافى كما دخلت ، فلك أن تقصد الى هذا المنزل وتطالب اصحابه بجثتى ، الى اللقاء ايها العزيز .

وابتسم الشرطى ابتسامة ساحرة ، ومضى فى سبيله وهو يغنى ويلوح بعصاه فى يده .

* * *

ومر الرجل فى طريقه بشاب كئيب السحنة ، رث الثياب يحمل تحـ
ابطه رزمة كبيرة من الطبعات الأولى لجرائد يوم الأحد ، ولـ
لم يعره انتباها ، ولم يحاول بائع الصحف من ناحيته ان يعرض عل
بضاعته .

مضى الرجل فى سبيله اذن وهو يترنم ويلوح بعصاه فى يده ، وتـ
الى منزل فى الجانب الآخر من الشارع ووقف أمامه وكف فى ذ

الوقت عن الغناء .

كان هناك سلم يتألف من ثلاث درجات ، يؤدى الى باب المنزل ، فصعد الرجل هذه الدرجات ببطء ، وحملق فى لوحة نحاسية مثبتة بالجدار ، واستطاع أن يقرأ فيها اسم صاحب المنزل « هنريخ دوسل »

* * *

وبحث الرجل عن جرس الباب ولما وجده ، مد يده ليضغط عليه .

وقبل ان يصل أصبعه الى زر الجرس ، دوى فوق رأسه صوت تهشم زجاج وتناثرت قطع الزجاج حوله .

وفى ذات الوقت ، ردد سكون الليل صرخة مداوية ، لم يكن هناك شك فى انها انفلتت من فم رجل يتألم .

وفى هذه اللحظة كذلك ، سمع الرجل وراءه صوتا هادئا يسأله :

ـ هل هذا هو المنزل الذى فى نيتك أن تدخله ؟

فنظر الرجل خلفه ورأى الشرطى .

أجابه فى هدوء والابتسامة لا تفارق شفتيه :

ـ نعم ، هذا هو المنزل ، وبهذه المناسبة ، دعنى اهنئك على خفة حركاتك ، فانت أول شرطى استطاع أن يتعقبنى دون أن اسمع موسيقى حذائه الثقيل .

ودق الجرس فتفتح الباب على الأثر ، وأطل منه رجل قصير القامة ملىء الجسم . اصلع الرأس .

وكان الشرطى لايزال فى مكانه فسأل :

- ماذا يحدث فى هذا المنزل ؟

فاجابه الرجل الأصلع بهدوء تام :

- لاشيء ياسيدى .

- وهذا الصراخ ، وتحطيم الزجاج . . .

- يوجد لدينا مريض مصاب فى عقله ، وهو مرضه فى بعض الأحيان لنوبات عنيفة ، ولكننا نعنى به اشد العناية .

فقال الرجل الطويل القامة وهو يبتسم ويلوح بعصاه :

- هذا حسن ، لقد تلقيت رسالتك التليفونية يامستر دوسل ، فجئت على الفور .

ثم نظر الى الشرطى واستطرد :

- انى الطبيب المكلف بمعالجة المريض ، فكن مطمئنا ياسيدى الشرطى ، سوف اريحك من صياحه وصخبه .

قال ذلك ودخل المنزل بكل هدوء وبساطة ، قبل ان يتمكن الشرطى او صاحب المنزل من أن ينطقا بكلمة .

قال :

- طاب مساؤك ياسيدى الشرطى .

واغلق الباب .

وما كاد ينفرد بصاحب المنزل ، حتى سأله هذا الأخير وهو يصعده بعينيه فى حذر وارتياب :

- هل لى أن اسألك عن معنى هذا ؟ انى لم اتصل بك تليفونيا

ولم يسبق لى التشرف بمعرفتك .

فأجاب الرجل الطويل القامة :

- لقد كان فى نيتى دخول هذا المنزل على كل حال لمقابلتك . . والتحدث اليك ، ولكنى لم أحسب حساب الزجاج الذى تحطم والصرخة التى مزقت سكون الليل . . ومهما يكن من أمر فانى دخلت المنزل . . وانتهت المشكلة .

فقال هنريخ دوسل بلهجة المحنق الغاضب :

- تريد مقابلتى والتحدث إلى ؟ أية خدمة استطيع أداءها من أجلك ؟ .

فأجاب الرجل الطويل القامة :

- الأمر على العكس . . فالمسألة هى . . أية خدمة استطيع أنا ان أؤديها من أجلك ؟

سل ما شئت تجدنى طوع أمرك ورهن اشارتك . . ليس عليك إلا أن تطلب . . فاذا قلت لى «جئنى بالقمر» مددت يدى فجئتك به.

فقطب دوسل حاجبيه وقال بخشونة :

- هل تعرف كيف تخرج كما دخلت ؟

فهز الرجل الطويل القامة رأسه فى أسف وأجاب :

- هذا هو الشيء الذى لا أعرفه . . فانى قد ادخل المنازل من ابوابها . . ولكنى اخرج عادة من نوافذها .

- اذن سأضطر فى هذه الحالة ان ألجأ إلى القوة .

وتحول كأنما ليدعو احد الخدم او أحد الأعوان . فقال محدثه بلطف :

ــ صبرا لحظة يامستر دوسل . . انى أريد أن اهمس فى اذنك كلمة تهمك . .

ولكن دوسل كان قد فتح فمه وهم بأن يصيح منادياً أحد اعوانه غير ان الزائر لم يمهله . . بل وثب عليه بخفة النمر . . ووضع يده على فمه قبل ان يصيح.

وبدلا من ان يهمس فى اذنه الكلمة التى اشار اليها . أهوى هو بقبضته على فك دوسل . . فسقط هذا الأخير فاقد الرشد ككتلة من الخشب .

قال الزائر مقلداً صوت دوسل :

ــ حسنا . . تعالى معى الى مكتبي .

وصمت لحظة ثم قال بصوته الطبيعى :

ــ شكرا لك يامستر دوسل .

وأحاط جسم دوسل بساعده . . ورفعه بسرعة . . والقى به على كتفه وسار بضع خطوات . . . ثم دلف الى أول باب صادفه .

وجد نفسه فى غرفة صغيرة . . ولكنه لم يضيع الوقت الثمين بفحص محتويات تلك الغرفة . . بل القى بحمله الثقيل على الأرض . . ثم خرج . . واغلق الباب ووضع المفتاح بجيبه .

ولا شك ان الحظ كان يحالفه . . لأن احدا من أهل المنزل

يفطن الى شيء مما حدث .

وصعد الرجل السلم وثبا وبخفة . . كأنه شبح من الأشباح .

كانت الغرفة التى تحطم زجاجها فى الطابق الأول من المنزل . . وكان موقعها فوق الباب الخارجى مباشرة . . فلم يجد الرجل صعوبة فى الاهتداء اليها .

وقف ببابها . وانصت . . ولم يسمع حركة أو صوتا . . ففتح الباب بخفة . ودخل بنشاط .

ولكنه وجد الغرفة خالية . . فغمغم قائلا :

ــ يا للشيطان .

ووقف مفكرا لحظة . ثم انبسطت اسارير وجهه . . وقال لنفسه :

ــ ولكن هذا طبيعى . . نعم . . من الطبيعى أن تكون الغرفة خالية ، إذ لو أصر الشرطى على الدخول لاستطلاع أسباب الصياح وتهشيم الزجاج . لجاء به القوم الى هنا ، وهم لذلك قد حملوا المريض المزعوم الى غرفة أخرى ، يحتمل أن تكون فى الطابق الثانى .

وخرج من الغرفة بأسرع من لمح البصر ، وصعد السلم وثبا الى الطابق الثانى .

ولكنه لم يكد يصل إلى قمة السلم ، حتى خرج من إحدى الغرف رجل بشع الخلقة ، تدل سحنته وتقاطيع وجهه على أنه أجنبى .

سأله الزائر فى غير تردد :

ــ هل كل شيء على مايرام ؟

فأجابه الرجل دون أن يعي :

ـ نعم ..

ثم فطن الرجل على الأثر إلى أنه سمع صوتا غير مألوف ، وأن هذا الصوت يختلف كثيرا عن صوت هنريخ دوسل .

فطن إلى ذلك ولكن بعد انقضاء ثلاث أو أربع ثوان ، فرفع رأسه ، ونظر إلى المتكلم ..

بيد أنه فعل ذلك بعد فوات الوقت ، وبعد أن أصبح منه الزائر على مسافة خطوة واحدة .

قال الزائر وهو يلوح بخنجر فى يده :

ـ هذا حسن ، أغمض عينيك ، وارجع القهقرى إلى الغرفة التى خرجت منها ، فينتهى كل شئ على ما يرام .

قال ذلك وسدد الخنجر إلى صدر الرجل ، وقرن هذه الحركة بنظرة تهديد كان لها أثرها السريع ، فقد انكمش الرجل ، وتراجع بالغريزة .

وتبعه الزائر عن كثب ، حتى دخل الغرفة فى أثره ، وعندئذ أغلق الباب ، وأطبق على عنق الرجل فجأة ..

وما هى إلا لحظة حتى كان الزائر ينهض واقفا بعد أن ترك الرجل فى غيبوبة هادئة ، لا يزعجها سوى ألم مزعج فى الفك الأسفل ..

وأجال الزائر البصر حوله ، فرأى المريض ملقى على الفراش وهو موثوق اليدين والقدمين ، مكموم الفم .

كان المريض رجلا متقدما فى السن ، قد تدلت لحيته البيضاء فوق

صدره ، واختفت عيناه وراء عوينات سوداء كبيرة ، وتوارت يداه فى قفاز من الجلد الأسود .

انقض عليه الزائر وحمله على كتفه كما يحمل طفلا ، وشرع يهبط به السلم .

ولكنه ما كاد يصل إلى الطابق الأول ، حتى سمع ضجة منبعثة من أسفل ، فاشرأب بعنقه من فوق حاجز السلم ، ورأى رجلا يفتح باب الغرفة التى وضع بها هنريخ دوسل ..

غير أن ذلك لم يثنه عن مواصلة الفرار ، فاستمر يهبط السلم بهدوء ولما وضع قدمه على آخر درجات السلم ، رأى مسدسين مصوبين إليه أحدهما فى يد الرجل الذى فتح الباب ، والثانى فى يد هنريخ دوسل .

قال الزائر ببساطة :

ـ لقد انتصرت على يادوسل ..

ـ نعم ، أنك انتصرت على فى آخر لحظة ، فدعنا نتفاهم ، ولكن اسمح لى أولا بأن أدخن لفافة تبغ ..

وأخرج علبة التبغ من جيبه ، وتناول منها لفافة (غير بريشة) .. وأشعلها . واستطرد :

ـ من الأفضل أن نتفاهم ياعزيزى دوسل ، فحدثنى ماذا فى نيتك أن تصنع بى ؟ !

هل فى نيتك أن تدفع بى إلى رجال البوليس ؟ ! إذا فعلت ذلك تعين عليك أن تدلى بكثير من الايضاحات التى ربما يهمك أن تكتمها عن

رجال البوليس .

لقد سمعني الشرطي في الخارج حين قلت إنني طبيب ، وإنني جئت تلبية لدعوتك التليفونية ، وسوف يسألك الشرطي حتما لماذا سكت على دعواى ، ولم تكذبني في الحال .

يضاف إلى ذلك هذا المريض الكهل ..

وأشار بأصبعه إلى الشيخ الممدد على الأرض ، وكان الشيخ يهز رأسه ويحاول أن يقول شيئا ، ولكنه لايستطيع بسبب الكمامة التى تحبس أنفاسه ..

فاستطرد الزائر :

ـ إن أسوأ النوبات العصبية أو الجنونية لاتستلزم شد وثاق المريض وتكميمه بهذه الطريقة .

فقال دوسل ببطء :

ـ كلا ياصديقي ، إنني لن أدفع بك إلى رجال البوليس .

فقال الزائر وهو يرسل من فمه سحابة كثيفة من الدخان :

ـ ولكنك لاتستطيع الاحتفاظ بي هنا طويلا ، فقد جرى لي مع الشرطي حديث طويل قبل أن أدخل منزلك ، فقلت له إنني لا أنوى البقاء هنا باختيارى أكثر من نصف ساعة ، وأكبر ظني أنه بعد كل مارأى وسمع ـ لايزال قايما أمام المنزل ايرقب مايحدث .

فتحول دوسل إلى خادمه وقال :

ـ إذهب إلى إحدى نوافذ الطابق الأول بالرجى ، وانظر إذا كان

الشرطي لايزال امام الباب .

فأطاع الخادم ، وقال الزائر وهو يدخن في هدوء :

ـ إن الموقف دقيق إلى حدما بالنسبة اليك ياعزيزى هنريخ .

إنني معروف جيدا من رجال البوليس ، وإذا ذكرت لك إسمى فقد تعرفني بدورك .

أنا أدعى أرسين لوبين .

وهنا رفع دوسل رأسه فجأة ، ونظر إلى محدثه كأنه لايصدق أذنيه ..

واستطرد لوبين وهو يبتسم :

ـ لقد كنت واثقا من أنك تعرفني .. ومهما يكن من أمر فانك تستطيع أن تعرف المزيد عني من صديقيك الأرشيدوق رودلف والدكتور رايت ماريوس .

فازدادت دهشة دوسل . ونظر إلى لوبين بمزيج من الذعر والقلق .

وعاد الخادم في هذه اللحظة ، وأنبأ سيده بأن الشرطي لايزال أمام المنزل ، وأنه يتحدث إلى شاب من باعة الصحف .

وهنا عض دوسل على شفتيه ، وقال لوبين :

ـ يخيل إلى أنك شديد الانزعاج ياعزيزى دوسل ، كان يجب أن تتلقى درسا في رباطة الجأش من صديقك اوسيدك الأرشيدوق رودلف فانه رجل لاتزعزعه العواصف .

قال لوبين ذلك ببطء ، وبصوت خافت ، وهو لايرفع عينيه عن

لفافة التبغ التي بين اصابعه .
ثم استطرد فجأة ، وهو يبتسم :
ـ دعني اعرض عليك إحدى الألعاب السحرية ، انظر .
والقى ببقية لفافة التبغ على الأرض واغمض عينيه .
اما دوسل وخادمه ، فانهما حملقا إلى لفافة التبغ المشتعلة امامهما .
وفجأة سمعا صوتا عجيبا كفحيح الأفعى ، ثم إنفجرت لفافة التبغ بصوت خافت ، وانبعث منها وهج حاد ساطع بهر ابصارهما واشعرهما كأن شعاعا وهاجا ملتهبا قد نفذ من عيونهما الى عقليهما .
ولم يستمر هذا الوهج اكثر من اربع او خمس ثوان ولكن هذه الفترة القصيرة كان فيها الكفاية .
ولما انطفأ الوهج ، كان المكان قد امتلأ بدخان ابيض كثيف وقد انتهز لوبين الفرصة منذ بدايتها ، فحمل الشيخ المريض ، ووثب به الى الباب .
وسمع الرجلان صوته الهازىء وهو يقول :
ـ هذا النوع من لفافات التبغ يستعمل بنجاح لاضحاك المدعوين في الحفلات ، فلا تنس ان تدعوني الى اول حفلة تضحك فيها مدعويك بهذه اللفافات ايها العزيز دوسل .
وتخبط الرجلان في اثره على غير هدى ، ولكن ذلك الوهج كان قد اعماهما مؤقتا .
وما كاد لوبين يفتح الباب ، حتى مرت بالقرب من اذنه رصاصة

انطلقت من مسدس صامت .
وتبعته سحب الدخان الى الخارج فصاح :
ـ النار ، النار ، النجدة .
وما وضع قدمه على ارض الشارع حتى اسرع اليه الشرطي فصاح به :
ـ انقذ الآخرين بحق السماء ، ان النار تلتهم المنزل ، وقد انقذت هذا المريض ولكن يوجد سواه بالمنزل .
ولم ينتظر الشرطي اكثر من العبارة الأولى ، فاقتحم سحب الدخان ووقف لوبين يرقبه ويقهقه .
وماهي الا لحظة ، حتى اقبلت سيارة انيقة يقودها الشاب الذي كان يتظاهر ببيع الصحف ، فوثب اليها لوبين ، وهو يهتف :
ـ كل شيء على مايرام ياروجر فأسرع قبل ان ينقشع الدخان .
فاطاع روجر كونواي ، واطلق العنان للسيارة . فانطلقت تسابق الريح .

* * *

اجتازت السيارة شارع (بارك لين) وانحرفت في شارع (بليك) وكان لوبين ينظر وراءه طول الوقت ، ولما لم ير شيئا تشتم منه رائحة المطاردة ، واطمأن الى ان الشرطي ودوسل لم يصلا الى تفاهم سريع فاعتدل في مقعده وقال محدثا صديقه روجر كونواي :
ـ لقد نجحت المغامرة ياعزيزي ، ولكنها لم تكن من البساطة كما تتصور ..

لقد سار كل شيء في البداية على مايرام، ثم تعقد الموقف فجأة.
ولم يجد (الدكتور) علاجا للحالة غير لفافة التبغ المحشوة بالمغنسيوم..
ثم ضحك واستطرد:
- كم أود أن أعرف ماذا قال هنريخ دوسل للشرطي وكيف سيستطيع التخلص منه.
ووضع يده في جيبه ليخرج علبة التبغ وعندئذ وقع بصره على الشيخ المريض، وكان ملقى في قاع السيارة فقال له:
- معذرة ياجدي العزيز، نحن مضطرون ان نبقى عليك كما أنت مكموم الفم. موثوق اليدين والقدمين حتى نصل إلى المنزل، لأننا لانريد الآن أن تزعجنا بصوتك وحركاتك، ومتى وصلنا إلى المنزل حللنا وثاقك والمصناك وسمعنا قصتك.
فهز الشيخ رأسه بحدة، ولكن لوبين لم يعبأ به.

« * »

وبعد بضع دقائق، وقفت السيارة في شارع (بركلي ميوز) أمام المنزل الذي اتخذه لوبين مقرا له بعد عودته إلى لندن، وهناك حمل لوبين الشيخ ودخل به المنزل.
اما روجر كونواي فانه ذهب بالسيارة إلى حظيرتها.

« * »

وقصد لوبين توا إلى غرفة الاستقبال. وهناك اجلس الشيخ على احد المقاعد. ثم اسدل الستائر على النوافذ واضاء المصباح الكهربائي

وقال محدثا الشيخ:
- والآن، دعنا نسمع قصتك ياجدي العزيز، وسيعود روجر بعد لحظة ويقدم إليك قدحا من الشاي الدافىء، ولكن، يا إلهي..
ووقف لوبين امام الشيخ مذهولا.
ذلك لأنه ما كاد يرفع الكمامة عن فم الشيخ حتى انفصلت اللحية البيضاء الطويلة مع الكمامة.
ولم تدم دهشة لوبين اكثر من لحظة.. ثم انحنى فوق الشيخ.. ورفع عويناته السوداء وقبعته.
وما كادت القبعة ترتفع حتى انسدلت ثروة من الشعر السنجابي حول وجه أجمل فتاة وقع عليها بصر لوبين.

الفصل الثاني
خصوم قدماء

قال روجر وهو يدخل غرفة الاستقبال، ويهم بخلع ثيابه الرثة:
- ان (فراملي) السيارة قد اختلت يالوبين ويجب..
ولم يتم عبارته.. بل وقف ينظر أمامه وهو مذهول مدهوش.. رأى لوبين جاثيا بجانب فتاة بارعة الجمال.. وقد راح يعمل خنجره في وثاقها..
هتف:
- يا إلهي يالوبين.. ما هذا..
فأجاب لوبين وهو يبتسم:

ـ مفاجأة ظريفة تختم بها حوادث الليلة ، أليس كذلك ؟
ثم نهض واقفاً بعد أن حل وثاق الفتاة وسألها :
ـ كيف حالك يافتاتي ؟
فاعتدلت الفتاة في جلستها ، ومرت بيدها فوق جبينها وغمغمت :
ـ سأكون في خير حال بعد لحظة ، فقط أشعر بصداع مؤلم ..

فقال لوبين :
ـ هذا الصداع من تأثير المادة المخدرة التي قدمت إليك ، ثم من تأثير الصدمة التي اصابت رأسك فيما بعد ولكني سأنقذك من هذا
أسرع إلى المطبخ يا روجر واصنع قدحا من الشاي.
فاطاع روجر ، وقصد لوبين إلى دولاب صغير في أحد الأركان وتناول قرصا أحمر اللون من قنينة صغيرة هناك ، ووضع القرص في قدح ماء واستمر يرقبه حتى ذاب تماما . ثم قدم القدح إلى الفتاة وهو يقول :
ـ اشربي محتويات هذا القدح يافتاتي . فيزول ما بك قبل إنقضاء خمس دقائق .
فنظرت إليه الفتاة في إرتياب ، واطرقت برأسها وكأنها خشيت أن يصيبها من محتويات القدح ما هو اشر من الصداع .
ولكن لوبين ابتسم لها إبتسامة مطمئنة ، فتناولت القدح وازدردت محتوياته . ثم غمغمت :
ـ شكراً لك .

فقال :
ـ والآن يحسن بك أن تتمددى على هذا المقعد وان تلزمي الهدوء والسكينة حتى يأتيك صديقي روجر بقدح شاي .
فأطاعت الفتاة وتمددت على المقعد واغمضت عينيها .
وأشعل لوبين لفافة تبغ ، وراح يدخن ، وينظر اليها .
كانت من اجمل الفتيات اللاتي وقع عليهن بصره .
راح يتأمل شعرها السنجابي البديع ، وانفها الدقيق ، وشفتيها الحمراوين الرقيقتين ، وجبهتها العريضة التي تدل على الذكاء ونبل الخلق وخيل اليه أنه رآها قبلا .

نعم ، أنه رآها من قبل ، ولكن أين ؟ ومتى ؟
ولمعت عيناه فجأة ، وتناول إحدى المجلات المصورة الموضوعة على مائدة صغيرة في وسط الغرفة .
كان قد رآها ، او على الأصح ، رأى صورتها في تلك المجلة المصورة ..
أخذ يتصفح المجلة ، ومالبثت عيناه ان استقرتا على الصورة .
كان من المستحيل ان يخطىء أو ينسى ، فقد لفتت هذه الصورة نظره بعد ظهر اليوم السابق ، لفتت نظره بجمالها ، اما الآن ، فانه اقتنع بان الصورة لم تعبر حق التعبير عن جمال صاحبتها .

(٥)

وعاد روجر ، ففتحت الفتاة عينيها ، وابتسمت .

قالت :

ـ انني الآن أحسن حالا .

فقال لو بين :

ـ سيزول مابك تماما متى تناولت هذا الشاى الدافىء .

وقدم اليها قدح الشاى ، فتناولته وقالت :

ـ شكرا لك .

ثم استطردت على الأثر :

ـ ولكن حدثنى : كيف اهتديت إلي ؟!

فاجاب لو بين :

ـ ان القصة طويلة ، ولكن يمكن تلخيصها فى بضع كلمات .

كان هناك مايدعونا إلى الاهتمام بأمر هنريخ دوسل صاحب المنزل الذى وجدتك فيه ، وكان روجر يرقب دوسل ومنزله ، فرأى حول منتصف الليل سيارة تقف بباب المنزل ، ثم رأى شبحا واقعا تحت تأثير المخدر يحمل من السيارة الى ..

وهنا قاطعته الفتاة بأن قالت محدثة روجر :

ـ وكيف علمت انى كنت تحت تأثير مخدر ؟

فأجاب روجر :

ـ لقد كانت حركاتهم تدل على الرغبة فى الاسراع ، فلما اخرجوا
من السيارة ، ارتطم رأسك ببابها ، واحدث ذلك صوتا مسموعا

فلو كان الشخص الذى ينقلونه مريضا حقا ، بل وكان كذلك مصا
بالشلل ثم أصيب رأسه بمثل هذه الصدمة ، اذن لتأوه ، أو اطلق م

ه أى صوت يدل على الألم .

اما انت ، فانك لم تتأوهى ، ولم يصدر منك أى صوت ، بل ولم يحاول أحدهم أن يعتذر لك .

فضحك لو بين وقال :

ـ كانت خطتهم بارعة حقا ، وهذه العوينات والقفاز والثياب التى اخفوا بها حقيقة شخصيتك تدل على انهم دبروا اختطافك تدبيرا دقيقا محكما ، وكان من المحتمل أن ينجح تدبيرهم الى ابعد حدود النجاح ، لولا ذكاء روجر .

وقد اتصل بي روجر وانبأني بما حدث ، فرأيت من الضرورى ان اقابل هنريخ دوسل .

ثم راح يسرد تفاصيل ماحدث منذ دخل منزل دوسل ولم يتمالك روجر والفتاة من الضحك حين وصف لهما لو بين حماقة الشرطى وهو يقتحم سحب الدخان لانقاذ أهل المنزل من النيران .

وختم لو بين حديثه بقوله .

ـ بيد ان الشيء الوحيد الذى لم افهم معناه ، هو الصيحة التى سمعتها بعد أن تحطم زجاج النافذة .

أنا واثق انها صيحة رجل ، فكيف ..

فقاطعته الفتاة بان قالت ببساطة :

ـ انى عضضت يده .

ـ آه ، اذن فقد عاد اليك رشدك وهم يحاولون شد وثاقك ،

فقاومت وعضضت يد الرجل .

فاطرقت برأسها علامة الايجاب .. وهتف لوبين كأنه لا يصدق اذنيه :

ـ انت . انت تعضين !!

فابتسمت وأجابت :

ـ هل تعرف من أنا ؟

ـ نعم ، ولذا لا استطيع ان اصدق انك تعرفين العض والقف
بهذه البراعة .

ثم تداول المجلة واستطرد :

ـ انى عرفتك من صورتك ، خذ هذه المجلة ياروجر وحا
ان تعرف فيها صورة الآنسة .

وقدم المجلة إلى روجر .

أما الفتاة فانها وضعت قدح الشاى وقالت :

ـ إننا نزلنا فى ضيافة السفارة ، وقد اقام السفير وزوجته
حفلة ساهرة دعيت اليها بطبيعة الحال ، ولكن السهرة كانت
كان الحر شديداً فى قاعة الرقص . فلما إنتصفت الساعة الثانية
تسللت إلى غرفتى فى دار السفارة ، وكان اول شيء وقع عليه
امام طاولة الزينة فى غرفتى ، هو علبة شوكولاته بديعة .

ثم إبتسمت واردفت :

ـ ولما كانت الشوكولاته هى احب الأشياء إلى ، فانى لم ا

طويلا فيما جاء بتلك العلبة إلى غرفتى ، وخطر لى ان زوجه السفير وهى تعلم عن ولعى بالشوكولاتة ـ لابد قد جاءتنى بها فقضمت قطعة منها ، ولاحظت فى الحال انها مرة المذاق .

ولا اذكر ما حدث لي بعد ذلك ، لأننى عندما افقت ، وجدت نفسى فى ذلك المنزل ، ورأيت ثلاثة رجال يحاولون شد وثاقى .

وانت تعلم الباقى طبعا .

فابتسم لوبين ونظر إلى روجر كونواى ، فوضع روجر المجلة وراح يحملق فى وجه الفتاة .

وضحكت الفتاة فى جذل وقالت :

ـ إذا كنت إبنة مليونير فذلك لايمنعنى من ان اجد الشاى الذى صنعته شهيا .

فقدم اليها لوبين علبة التبغ . وقال وهو يشير باصبعه إلى بعض اللفافات :

ـ هل لك فى لفافة تبغ من النوع الذى لا ينفجر ؟

ثم اشعل بدوره لفافة وقال :

ـ هل فكرت فيمن نصب لك هذا الفخ ؟

ـ إننى لم اجد متسعا من الوقت للتفكير .

ـ فكرى الآن ، من ذا الذى كان فى استطاعته ان يختطفك هكذا من دار السفارة ؟

فهزت رأسها وقالت :

مع اثنين من اصدقائى ـ احدهما روجر هذا ـ ان العالم فى غنى عن هذا السلاح ، وان النوع البشرى يكون اكثر طمأنينة على مصير ومستقبله اذا ابيد هذا الاختراع .

وقد بذلنا جهود الجبابرة ، وخاطرنا بكل شىء لاقناع الاستا فارجان باهمال اختراعه ، ولكن الرجل كان مجنونا ، فرفض ان يصغى ، وصار لزاما علينا ان نقتله لانقاذ العالم من شره ، وشر اخترا الجهنمى ، ولم يتردد زميلنا الثالث ـ واسمه نورمان كينت ـ فى قتل برصاصة من مسدسه .

وهنا كف لوبين عن الكلام ، وارتسمت على وجهه علاما الحزن حين تذكر صديقه النبيل نورمان كينت .

اردف بعد لحظة :

ـ على ان قوما آخرين ينتمون الى دولة اجنبية ، علموا بأمر هذا الاختراع ، وسعوا للاستيلاء عليه ، او على مخترعه .

وقد نشرت الصحف فى ذلك الحين أنباء بعض المحاولات التى بها أولئك الجواسيس لاختطاف الأستاذ فارجان ، أو سرقة اختر ولكنها لم تكتب فى الموضوع باسهاب ، نظرا لأن الأمر يتصل بعض ذوى الشخصيات البارزة ، ثم لأن جميع المؤامرات التى دبرها أول القوم تكللت بالفشل ، ولذلك رؤى كتمانها . . تجنبا للمشاكل الد على أن هناك بعض حقائق كان ولايزال يجهلها أشد المتصلين المؤامرة ، وفى مقدمتهم الأرشيدوق رودلف نفسه .

فقد كان هذا الأرشيدوق يعتقد أن ساعده الأيمن الدكتور (رايت ماريوس) إنما يعمل فى خدمة وطنه ، ويسعى للحصول على ذلك الاختراع لكى يضع فى أيدى بلاده سلاحا يضمن لها الانتصار فى الحرب المقبلة .

بيد أن الحقيقة التى يجهلها الأرشيدوق هى ان الاستيلاء على إختراع الأستاذ فارجان — وهذا الاختراع هو عبارة عن أشعة قاتلة تبيد كل حى يقف فى طريقها — أقول أن الحقيقة التى يجهلها الأرشيدوق هى أن الاستيلاء على هذا الاختراع كان الغرض الأول منه أحداث حرب اوروبية لمصلحة جماعة من المموّلين الذين يقرضون الحكومات المقاتلة ، ويتجرون بالاسلحة ، ويمونون الفتن والثورات وفى طليعة هؤلاء المموّلين الدكتور رايت ماريوس نفسه ، المشهور بالمليونير الغامض ، أو المليونير الذى لا وطن له ، فهل سمعت عن هذا الرجل ؟

اطرقت الفتاة برأسها . واجابت :

ـ ومن ذا الذى لم يسمع باسمه ؟

فقال لوبين :

ـ هذا الرجل هو من اكبر المتآمرين على السلم العالمى ، ومن أعظم مثيرى الفتن والثورات فى العصر الحديث ، وقد كانت مؤامراته للحصول على إختراع الأستاذ فارجان هى اعظم محاولاته على الاطلاق وقد سخر فيها الأرشيدوق رودلف ، واتخذه سلما للوصول إلى

غرضه ..

وقد كان أحد هذين الرجلين ، الدكتور رايت ماريوس . أو الأرشيدوق رودلف ، هو الذى قتل صديقى الحميم نورمان كينت .

وصمت لوبين ، وارتسمت على وجهه مرة أخرى علامات الحزن

واحترمت الفتاة وروجر حزنه فلم يعكرا عليه صمته .

قال لوبين أخيراً :

— إننا تركنا نورمان كينت مع الأرشيدوق وماريوس فى منز إمتلكه فى ميدنهيد ، وقد مهد لنا نورمان سبيل الافلات من أيدى رجال الأرشيدوق ، وكنت أظن أنه وفق إلى وسيلة ينقذ بها نفسه ولم أعلم أنه ضحى بنفسه فى سبيلنا إلا بعد فوات الوقت ، فلما عد إلى منزلى فى (ميدنهيد) وجدته جثة هامدة .

وكان بقائى فى إنجلترا بعد تلك الحوادث مستحيلا ، فعدت إ وطنى فرنسا ، وعبثا حاولت أن أنسى نبل التضحية التى بذلها نور كينت فى سبيلنا ، وعبثا حاولت أن أنسى أن لى عند الأرشيدو وماريوس ثأرا ..

وأخيراً قررت أن اثأر لصديقى وأن اعمل على تصفية الحس بينى وبين هذين الرجلين فعدت إلى إنجلترا رغم الأخطار التى ت سلامتى ، وحريتى ، وأخذت مع زميلى روجر فى البحث ع الأرشيدوق وماريوس ، وكان الحظ حليفنا ، إذ وفقنا فى مدة وج إلى أكثر المعلومات التى تهمنا ، فعلمنا أن الدكتور ماريوس أ

برصاصة من مسدس نورمان كينت فى ساعة النضال الأخيرة ولكنه عوفى من اصابته بعد أن قضى شهرين طريح الفراش .

ثم علمنا أن الأرشيدوق لايزال فى لندن ، وأنه يقيم فى فندق (ريتز)

وحدث أمس بينما كنا نرقب فندق (ريتز) أننا رأينا هنريخ دوسل يتحدث طويلا مع الأرشيدوق . فقررنا أن نميط اللثام عن سر العلاقة بين هذين الرجلين .. عسى أن نعرف شيئاً جديداً عن أعمال الأرشيدوق ونواياه .. وهكذا بدأنا فى مراقبة دوسل .

بيد ان كل ما اكتشفته منذ عودتى إلى انجلترا ، لا يكاد يذكر فى شىء إلى جانب الاكتشاف الذى وقعت عليه الليلة .

وصمت لوبين .. فنظر إليه روجر والفتاة فى دهشة . ولم يفهما غرضه .

قال لوبين :

— لقد اكتشفت الليلة ان مهمة نورمان كينت لم تنته . وأنه قتل فارجان . ثم ضحى بنفسه على غير طائل ، لأن ماريوس — والأرشيدوق من ورائه — لا يزال يصول ويجول فى الميدان .

ثم .أن هذا الرجل الجهنمى لا يزال يعمل على إشعال نيران حرب عالمية جديدة ، ولذلك يجب ان يموت .

فقالت الفتاة :

— انك تتكلم بلهجة الواثق من نفسه . ولكننى لا ادرى صلة

بين اختطافى . وإشعال نار الحرب العالمية .

ـ الا ترين الصلة ؟ حسنا ، اصغى إلى . انى سردت عليك الآن قصه اختراع الأستاذ فارجان ، بيد ان هذا الاختراع لم يكن المحور الحقيقى لمأساة الحرب المنتظرة . والواقع ان استيلاء احد الأشخاص او إحدى الدول على سر اختراع جهنمى كاختراع الأستاذ فارجان ليس معناه ان تقوم قيامة الدول ، وتعلن الحرب .

ان الحرب هى النتيجة النهائية لسلسلة من الحوادث التى ترمى إلى بذر سوء الظن وسوء التفاهم بين دولة وأخرى ، وقبل ان يدبر ماريوس مؤامرة للاستيلاء على اختراع الأستاذ فارجان . عمد بدهائه إلى إحلال سوء الظن محل الثقة بين انجلترا وبعض الدول الأوروبية. فلم يكن ينقضي يوم دون ان تقرأ فى الصحف عن حادث اعتقال جاسوس ألمانى أو فرنسى وهو يحاول تصوير بعض الاستحكامات الانجليزية . أو دخول أحد المصانع البريطانية التى تصنع الأسلحة والذخيرة للجيش البريطانى .

كذلك لم يكن ينقضى يوم دون ان تقرأ فى الصحف عن جاسوس بريطانى ألقى عليه القبض وهو يحاول احراق أحد المناطيد الألمانية. او نسف احدى المدرعات الفرنسية .

وكانت الحكومات فى جميع هذه الحوادث تبرأ بحق من هؤلاء الجواسيس واعمالهم .

والواقع ان اكثر هذه الأعمال والمحاولات الجاسوسية . ليست

من تدبير الحكومات ، ولكنها من تدبير اولئك الذين يريدون الصيد فى الماء العكر بإيغار صدور الشعوب بعضها على بعض ، وغرس بذور النفور وسوء الظن بين الدول الحكومات تمهيداً لاشعال نيران الحرب بينها .

وفى الحق ، انه ليس ايسر علي من عملاء المال من ان يدعو اليه أحد صعاليك الانجليز مثلا ، ويقول له افعل كذا . وكذا . فيقبض عليك وتتهم بالجاسوسية . ويحكم عليك بالسجن ثلاث أو خمسة اعوام ولك فى مقابل ذلك عشرة آلاف من الجنيهات مثلا .

ان هناك مئات بل آلافا من العاطلين يقبلون مثل هذه المهمة التى لا تدل فى ظاهرها على شيء ، ولكنها متى تكررت حركت الاحقاد الدفينة ، واثارت الظنون السيئة وذهبت بالثقة بين الشعوب والحكومات .

لقد حدث عندما قتل فارجان . وابيد اختراعه ان جمعية ماريوس واضرابه قد فرغت من الحيل والمؤامرات . وان فترة من الوقت ستنقضي قبل ان نسمع او نقرأ عن المزيد من اعمال التجسس المزعومة . غير أن تجاربى الشخصية فى باريس والأنباء التى قرأتها فى الصحف ، قد دلتنى على ان جمعية ماريوس واضرابه لم تفرغ ، وأن المؤامرات لاتزال تدبر وتحاك بمهارة وصبر انتظارا للفرصة الملائمة التى يستطيع فيها التفعيون توجيه الطعنة القاتلة الى صدر السلام .

هل تذكرين يا آنسة حادث اعتقال الشاب الألماني الذى ضبط

وهو يحاول إحراق الطائرة البريطانية الجديدة (٣ : ١ ر) ؟
ـ نعم اذكر هذا الحادث .
ـ انه لايزال عالقا بالأذهان ، لأنه وقع منذ شهر واحد . وقد أوشك الشاب ان ينجح فى مهمته ، لولا اننى علمت بالمؤامرة فى الوقت المناسب واخطرت صديقى المفتش تيل ، فقبض على الجاسوس المزعوم متلبسا بجريمته .

فهل تعرفين ماهى الدولة التى كان هذا الشاب يعمل لحسابها ؟!

انه لم يعمل لحساب إحدى الدول ، بل عمل لحساب الدكتور رايت ماريوس .

ثم هل تذكرين حكاية ذلك الرجل الانجليزى الذى قبض عليه رجال البوليس فى فرنسا وهو يحاول التقاط صورة فوتوغرافية لاحدى القواعد البحرية الفرنسية ؟!

فأجابت الفتاة :
ـ لقد كتبت الصحف باسهاب عن قضيته .
ـ كان هذا الرجل ايضا من اتباع ماريوس ، وقد علمت بهذه الحقيقة لاننى كنت كامنا فى احدى الغرف بفندق (ادوار السابع) بباريس ، وسمعت تفاصيل المساومة التى جرت بين هذين الجاسوسين ورجل آخر أرسله ماريوس الى باريس للمفاوضة ودفع الثمن .

ان هناك عشرات من مواثيق السلام ونزع السلاح ، والكن ماقيمة المواثيق والمعاهدات اذا ضاعت الثقة بين الشعوب والحكومات

ان الناس فى الوقت الحاضر لايريدون حربا .

واولئك الذين شهدوا الحرب الماضية وفظاعاتها يبذلون قصارى جهدهم للحيلولة دون حرب جديدة ، ولكن ماذا يستطيع الرجل ان يفعل ، متى رأى رجلا آخر يأبى الا يسرق متاعه ؛ ويحرق منزله ويكيل السباب لزوجته .

الا ينتهى به الامر حتما ـ مهما بلغ من صبره وسعة صدره ـ أن ينقض على غريمه ، ويقابل التحدى بمثله ؟

وصمت لوبين لحظة ثم سأل :
ـ هل فهمت الآن يا آنسة ؟
فاجابت :
ـ انى فهمت غرضك وفكرتك ، ولكنى لم افهم بعد كيف يحاول صديقك ماريوس ان يجعل من اختطافى وسيلة لاثارة أى نوع من الحروب !
ـ لقد افهمتك يا آنسة .
فنظرت اليه نظرة جوفاء وقالت :
ـ متى ؟
ـ الآن . . عندما حدثتك عن الممولين وأصحاب رؤوس الأموال مع علمى بأنك ابنة أحد أصحاب الملايين .
الست سونيا ديلمار . . ابنة هنرى ديلمار ملك الفولاذ ؟
الست سونيا ديلمار . . خطيبة السير جون لبسنج . . الرجل

الذي يسيطر على منابع البترول في البلقان .. والذي يلقب بدكتاتور شرق أوربا ؟

وهل لم يحاول السير جون ليسنج طيلة الأعوام الأخيرة أن يهدم الشركات التي تستثمر آبار البترول في روسيا ؟

والآن .. لنفرض انك اختطفت .. أو اختفيت قبيل زواجك .. ثم ظهر انك نقلت إلى روسيا فماذا يكون ؟ .

الأمر واضح غاية الوضوح .. ان من الصعب اغراء الدول الكبرى وحملها على اشعال نار الحرب .. ولكن ليس ايسر من وضع النار في بلاد كبلاد البلقان التي اصطلح الناس على تشبيهها ببرميل البارود .

والدكتور ماريوس رجل واسع الحيلة .. ولا بد انه توفر على دراسة طباع السير جون ليسنج .. وميوله ونفسيته .. والسير جون ليسنج مشهور بأنه ضيق الصدر سريع الغضب ... إذا اعترضه معترض ولو حول مائدة الميسر .. حنق عليه .. وعمل على خرابه والقضاء عليه .

فرجل هذا خلقه وهذه طباعه .. لا يمكن أن يقف مكتوف الساعدين متى توهم أن خصومه الذين ينافسونه في تجارة البترول قد اختطفوا خطيبته .

وليس ايسر على ماريوس في هذه الحالة من ان يهمس في اذن السير جون ليسنج كلمة تجعله يشعل النار في بلاد البلقان وروسيا .

وحرب في شرق اوروبا لابد أن تجر وراءها حربا أوروبية عامة

تشمل القارة كلها من أقصاها إلى اقصاها .. فهل فهمت الآن ؟

فصمدته الفتاة ببصرها .. ثم هزت رأسها وقالت :

— هذه قصة أشبه بما تقرأه في الروايات الخيالية . ومن عجب انك تتكلم بلهجة المؤمن بصحه رأيه

على انك ..

ورفعت يدها إلى رأسها .. ولم تستطع اتمام عبارتها .

فقال لوبين وهو يبتسم :

— مسكينة انت ياسونيا ... لقد اتعبتك حوادث الليلة ومفاجآتها . انك في اشد الحاجة إلى الراحة والنوم ومن الأفضل ان نرجيء حديثنا إلى الصباح ربما يعود اليك نشاطك وقوتك .

سأذهب بك الآن إلى غرفة نومك . وسيكون اول عمل لروجر في الصباح ان يستعير لك بعض الثياب اللائقة من زوجة احد اصدقائه .

انهضت واقفة . وقالت وهي تنظر اليه بحدة :

— هل تعني ان .. ان في نيتك استبقائي هنا ؟

فطرق لوبين برأسه ، وقال :

— ستبقين هنا الليلة على الأقل .

— والقوم في السفارة .. سوف ..

— سوف يستولى عليهم القلق لاختفائك . أليس كذلك ؟

فقالت وهي تتراجع :

— اذن فانك لم تنقذني من ذلك المنزل الالكى ..

- الا لكى احجزك فى منزلى ؟ كلا .. يا آنسة . ليست هذه نيتى .

قال ذلك ووضع يده على كتفها بلطف واستطرد وعلى شفتيه ابتسامة هادئة مطمئنة :

- انى وصديقى روجر بسبيل مغامرة من اخطر المغامرات التى مرت بنا .. وقد حدثتك الليلة بطرف من تفاصيلها .. وقد يأتى يوم استطيع فيه ان احدثك بالتفاصيل كلها .. بيد ان القليل الذى سردته عليك . يكفى فى ذاته لاقناعك بأننا لا نسعى وراء غنيمة من مال او متاع ..

أننى لم أضع خطتى بعد ، ولا أعلم كيف سيبدأ النضال بينى وبين الدكتور ماريوس ، ولكنى لأرى مانعا فى الوقت الحاضر من أن أضع يدى على السلاح الذى يحارب به ماريوس ، وهـذا السلاح هو انت ..

ومن المحتمل أن يهدينى التفكير إلى خطة صالحة قبل أن تبزغ شمس الغد ، ولكن من الآن ، إلى أن أضع خطتى ، وأعرف دورك فيها .. ينبغى ان احتفظ بك هنا ..

- هل تريد ان اكون سجينتك فى هذا المنزل ؟ !

- كلا .. فذلك آخر ما افكر فيه ، وكل ما اطالبك به هو ان تعدينى بألا تبرحى هذا المنزل خلال الأثنى عشرة ساعة القادمة .

فصمتت الفتاة واطرقت برأسها .

وراح لوبين ينظر اليها بامعان ، كأنما يريد ان يتغلغل فى اعماق

نفسها ، او ان يقرأ ما يجول وراء جبهتها المرتفعة الناصعة البياض ..

لقد اراد بأحاديثه فى النصف الساعة الأخيرة ان يقنعها ، فلما لاحظ الآن ترددها ، لم يتمالك من ان يسأل نفسه ، ترى ما هى العقوبة التى يفرضها القانون الانجليزى على الشخص الذى يسجن فى منزله ابنة احد اصحاب الملايين ؟

على ان صمت الفتاة لم يدم طويلا ، وكذلك لم يدم ترددها حين رفعت عينيها ورأت الابتسامة الهادئة التى تضيء وجه لوبين .

قالت :

- إننى اعدك .

فأجاب :

- شكرا لك .

* * *

وذهب بها لوبين إلى غرفته الخاصة ، وهناك قال لها :

- ستجدين فى هذا الدولاب مجموعة لابأس بها من (البيجامات) فاختارى منها ما يروقك .

وابتسم واردف :

- وإذا وجدت أن بيجاما واحـدة لاتتسع لك .. فارتدى بيجامتين .

ثم قال وهو يمس كتفها بلطف :

- سأحاول فى احد الأيام ان أوضح لك معنى سلوكى هذا ، وان

اعتذر لك .

فابتسمت واجابت :

ـ وانا من ناحيتي سأحاول في احد الأيام ان اغفر لك .

ـ طاب مساؤك ياسونيا

وقبل يدها بسرعة ، وخرج من الغرفة .

وعاد لوبين إلى غرفة الاستقبال . فوجد روجر يحتسى قدحا من الجعة .

قال له :

ـ اظن ان الوقت قد حان لنلتمس شيئا من الراحة ، إننا نستحق النوم عن جدارة .

فقال روجر متذمراً :

ـ وما حاجتك إلى النوم . وقد فزت بالغنيمة كلها .

فنظر اليه لوبين مدهوشا وسأله :

ـ ماذا تعنى ؟

ـ ماذا اعنى ؟ انك احتكرت لنفسك حديث الفتاة وبسماتها الساحرة ، فلم تتحدث إلى سوى مرة واحدة .

فقهقه لوبين ضاحكا وقال :

ـ رفقه عنك ياصاح ، اننا على ابواب مغامرة اعذب من بسمات النساء .

ـ لو اننا عدنا بالفتاة إلى دار المفوضية الأمريكية اذن لنالني من

ذكر ابيها وكرمه بضعة آلاف من الجنيهات .

ـ اما الآن فسيكون نصيبك اما السجن خمسة عشر عاما لاختطافك ابنة احد اصحاب الملايين او رصاصة من مسدس الدكتور ماريوس .

ـ لاشك ان الأرشيدوق وماريوس قد علما الآن من دوسل بأننا عدنا الى الميدان .

فنظر اليه روجر طويلا ثم قال :

ـ هل انت واثق من صحة النظرية التي اديت بها الى سونيا ؟

فاجاب لوبين بصراحة :

ـ الواقع انها نظرية خطرت لى عرضا . ولا اعلم على وجه التحقيق نصيبها من الصحة ، ولا شك ان هناك نظريات اخرى لتعليل اختطافها ولكنى وجدت ان هذه النظرية هي الأقرب الى العقل والمنطق ولست اعلم لماذا لا تكون هي النظرية الصحيحة .

ـ ان مايحيرني ، لماذا اختطفت الفتاة . ولأى غرض تريد استخدامها !

فابتسم لوبين واجاب :

ـ وذلك ما يحيرني ايضاً ياروجر ، بيد انني اشعر شعوراً مبهما بأن هذه الفتاة هي اقوى سلاح في المعركة ، واننا سنفيد منها كثيرا متى بدأ النضال .

واطرق برأسه لحظة ثم نهض وهو يقول :

ـ هلم بنا إلى الفراش ياروجر ، فالفراش هو المكان الوحيد الذي

استطيع فيه حل المعضلات .

الفصل الثالث

بداية النضال

وقفت السيارة بالباب ، وهبط منها رجل متقدم فى السن يحمل باحدى يديه حزمة كبيرة . ويتوكأ بيده الأخرى على عصا .

دخل هذا الشيخ بيت لوبين واغلق الباب وراءه ، ثم شرع يرقى السلم بخفة الشباب .

وقصد لتوه إلى غرفة الطعام ، حيث كان روجر وسونيا يتناولان طعام الافطار ، فالقى بالحزمة والعصا فى احد الاركان وقذف بقبعته فى اثرهما وهتف :

ـ ما اجمل هذا الصباح ، لولا مضايقات رجال البوليس السرى .

ثم التفت إلى سونيا واستطرد وهو ينتزع لحيته وشاربيه :

ـ لقد كانت مشكلة ثيابك فى طليعة المشاكل التي وفقت إلى حلها فانه من غير المألوف ان تنتقل ابنة ملك الفولاذ فى شوارع لندن مرتدية (بيجامة) ارسين لوبين .

واشار إلى الحزمة التى جاء بها واردف :

ـ لقد جئتك بطائفة من الثياب تصلح لابنة احد اللوردات . . هل التهمت الطعام كله ياروجر ؟ !

فاجابه روجر :

ـ إنى احتفظت لك ببيضة .

ـ بيضة واحدة ؟ ! ياإلهى أننى أكاد أن أموت جوعا يارجل .

ـ إذا أردت بيضة أخرى فعليك أن تبيضها . لم يكن بالمنزل سوى أربع بيضات ، وقد أكلت الضيفة العزيزة اثنتين منها .

ـ هذا نبأ سار ، لأنه يدل على أن الضيفة العزيزة تستمتع بصحة جيدة .

ثم أقبل على الطعام يلتهمه بشراهة .

سألته الفتاة :

ـ لماذا تنكرت فى زى شيخ ؟ ! هل تعتقد أن رجال البوليس يتعقبونك ؟

فأجاب لوبين وهو يبتسم :

ـ إنهم يتعقبوننى منذ عشرين سنة ، ولكنهم بدأوا يضيقون على الخناق فى المدة الأخيرة .

فقال روجر :

ـ وهل تعتقد أن فى استطاعتك إختطاف بنات ملوك الفولاذ دون أن يحرك رجال البوليس ساكنا للاقتصاص منك ؟

ـ لاأظن ان اختطاف الآنسة سونيا هو السبب فى انتشار رجال البوليس السرى فى الأماكن التى تعودت غشيانها ، ولو كان هنريخ دوسل قد حدثهم عن اختطاف إبنة ملك الفولاذ من منزله . إذن لتعين عليه كذلك ان يذكر لهم كيف وصلت سونيا إلى بيته ، وذلك مالا يستطيع ان يفعله دون ان يفضح نفسه .

تبا للظروف السيئة .. لو لم يكن هذا اليوم هو يوم الأحد .. اذن لطلعت علينا الصحف بانباء قد تهمنا . اما والصحف لاتصدر اليوم فقد اصبح لزاما ان انطلق لتسقط الأنباء بنفسى .

فهتف روجر :

ـ تفعل ماذا ! ؟

ـ انطلق لاستقصاء الأخبار بنفسى .. من الارشيدوق رودلف . فى فندق (ريتز)

ثم اعتدل فى مقعده . ونظر فى ساعته وقال محدثا سونيا :

ـ ستصبحين فى حل من وعدك بعد انقضاء اربع ساعات .. ولكنى احلك الآن من هذا الوعد .

* * *

فصعدته الفتاة بعينيها طويلا ..

كان فى استطاعتها ان تشكره .. وتذهب فى سبيلها .

وكان فى استطاعتها ان تذهب فى سبيلها دون ان تنطق بكلمة شكر .

ولكنها لم تفعل شيئا من ذلك . . بل سألته ببساطة دون ان تتحرك من مكانها :

ـ لماذا ! ؟

فأجابها بهدوء :

ـ لقد فكرت فى الأمر مليا ليلة امس كما وعدتك .

ـ وهل وضعت خطتك ! ؟

ـ نعم ..

ـ من يدرى .. فربما كانت تشبه خطتى .

فرفع لوبين حاجبيه متسائلا وردد :

ـ تشبه خطتك ! ؟

فابتسمت واجابت :

ـ اننى استطيع ان افكر مثلك يا مسيو لوبين .. وقد فكرت طويلا ليلة أمس . فكرت فى كل ما سمعته منك . وكل ما سمعته عنك . واقتنعت بما ذكرته لى . . ووجدت أنه لا توجد غير وسيلة واحدة للعمل .

ـ وهى ! ؟

ـ ألم تقل انى أقوى سلاح فى يد الدكتور ماريوس ! ؟ انك كنت على صواب حين قلت ذلك .. وقد كان من المهم أن نعرف هذه الحقيقة .. بيد أن هناك حقائق أخرى مازلنا نجهلها . . وأهم هذه الحقائق هى .. كيف ينوى الدكتور ماريوس استخدام هذا السلاح ؟ وماذا لديه من اسلحة أخرى للوصول إلى غرضه ! ؟

ألم تفكر مثلى فى كل ذلك يا مسيو لوبين ! ؟

ـ بل فكرت .

ـ وماذا كانت خطتك ! ؟

وهنا التقت عيونهما .. وشعر لوبين بأن هذه الفتاة الحسناء ربيبة

بلهجة لا تقل عنه ذكاء وبسالة وبعد نظر .

أجاب :

ـ كان فى نيتى ان اطلب اليك العودة إلى . . إلى هنريخ دوسل .

فقالت سونيا :

ـ وذلك ما كان فى نيتى أن اقترحه عليك .

***

وهنا راح روجر ينقل البصر بين لوبين وسونيا فى دهشة وتبلد .

شعر بنفسه غريباً بين هذين المخلوقين اللذين توثقت بينهما أواصر التفاهم بهذه السرعة . . واحس كأنه يعيش فى جو آخر غير الجو الذى يعيشان فيه . ولعن نفسه على غباوته . وجمود ذهنه .. وعجزه عن فهم الحقائق كما يفهمانها .

قال لوبين محدثا الفتاة :

ـ وهل فكرت فى الأخطار التى ستستهدفين لها ؟

ـ انى عرضة للاخطار فى كل وقت .

ـ ألا تخشين أن افشل فنكون بذلك قد اعدنا إلى ماريوس السلاح الذى انتزعناه منه ؟

فقالت بلهجة الثقة والاطمئنان :

ـ انك لن تفشل .. وبعد . فالقضية هى قضية الانسانية والمدنية والسلام .. وانت تعلم ذلك .. فليس من حقك اذن ان تتقهقر .

ـ انت فتاة باسلة ..

عندما قلت لك انى احلك من وعدك . . كنت اريدك على ان تعودى إلى دار السفارة الأمريكية . وان يعود ماريوس إلى اختطافك وهكذا استطيع ان اتعقبه واعرف نواياه واغراضه .

واما وقد ادركت من تلقاء نفسك ان السبيل الأوحد لاماطة اللثام عن المؤامرة التى اتخذك ماريوس محورا لها . هو ان تضعى نفسك بين يديه فانى لا يسعنى إلا ان اهنئك على ذكائك وبسالتك .

قال ذلك ونهض إلى جهاز التليفون وتناول السماعه وطلب رقما .

ثم هتف :

ـ آلو . . آلو . . هل استطيع التحدث إلى الدكتور ماريوس ؟

قل له ان ارسين لوبين يود التحدث اليه .

وهنا وثب روجر من مقعده وصاح :

ـ هل جننت يالوبين ؟ ماذا تفعل . ؟

ولكن لوبين لم يعبأ به . بل راح يتحدث إلى الرجل الذى كان يمقته كما لم يمقت انسانا آخر فى العالم .

هتف :

ـ آلو . آلو .. اهذا انت ياماريوس ؟ كيف حالك ايها الخل الوديع . وكيف حال هنريخ العزيز ؟ ؟ لا شك انه انبأك بعودتى إلى انجلترا .. والواقع انه كان فى نيتى ان اتصل بك قبل الآن وانبئك شخصيا بعودتى .. لولا كثرة أعمالى كطبيب . الم يحدثك هنريخ عن المريض الشاذ الذى تطوعت لمعالجته ليلة امس ؟ ! . انا واثق انه

حدثك ، وانه عبرلك عن اعجابه بطريقة علاجى ، كلا ، كلا ، ليس عندى ما اقوله لك ، كل ما هناك انى اردت ان اشنف اذنى بصوتك العذب . ماذا تقول ؟ الشيخ المريض ؟ انه فى خير حال . ولكنه يشعر بصداع بسيط ، وسينقل الى السفارة غدا لانى لا اسمح لمرضاى بالرحيل قبل ان يتم شفاؤهم ، اذكرنى عند سيدك الأرشيدوق ، وابلغه انى قد اعرج عليه فى فندق (ريتز) قبل ظهر اليوم لا تناول معه كأسا من الويسكى ، الى اللقاء ياصغيرى العزيز .

ووضع السماعة ، وانثنى الى روجر وسونيا وهو يقول :

ـ هذا بديع ، لقد وضعت له (الطعم) فابتلعه فى حذر ، هل ادركت غرضى ياروجر ؟؟

ـ كلا .

ـ وانت ياسونيا ؟

فهزت الفتاة رأسها سلبا ، وضحك لوبين وقال وهو يشعل لفافة تبغ :

ـ ان ماريوس يعلم الآن انك عندى ، ويعتقد انك مازلت تعانين من تأثير المخدر ، وليس فى استطاعتك الانتقال الى دار السفارة قبل غد .

وعلى هذا الاعتقاد سوف يعمل على اختطافك من هنا قبل ان تعودى الى دار السفارة الأمريكية .

فقال روجر ساخرا :

ـ وكيف يختطفها وهو لا يعرف عنوان هذا المنزل ؟

ـ وكيف ؟

ـ اؤكد لك انه الآن على اتصال بادارة التليفون لمعرفة رقم تليفونى ؟

ـ هل نسيت ان ادارة التليفون لا تبوح قط بعنوانات المشتركين وان رقم تليفونك لايدله على عنوان منزلك ؟

ـ يخيل الى انك لست فى وعيك ياعزيزى روجر ، فهل تظن أن ماريوس يعجز عن معرفة عنوان هذا المنزل ؟ ليس ايسر عليه من البحث فى (دليل لندن) لمعرفة عنوان صاحب التليفون رقم (٣٤٠١٥) ان لديه جيشا من الأعوان والاتباع ، وفى استطاعته ان يحشد جميع اعوانه للبحث فى كل صفحة من صفحات (دليل لندن) وهى مهمة قد لاتستغرق منهم اكثر من نصف ساعة .

فقال روجر :

ـ هب انه عرف عنوان هذا المنزل ، فماذا نفيد من ذلك ؟

فاجاب لوبين وهو يرسل من فمه سحابة من الدخان :

ـ ساوضح لكما خطتى ، فاصغيا الى .

الفصل الرابع

مقابلة

دخل الشيخ فندق (ريتز) وهو ينتزع قدميه من الأرض انتزاعا . كانت تجعدات وجهه ، وحركاته البطيئة تدل على انه تجاوز السبعين من عمره ، اما ثيابه ، فكانت ثياب رجل يعرف معنى الأناقة رغم

تقدمه فى السن .

قال محدثنا احد خدم الفندق :

ـ اريد مقابلة الأرشيدوق رودلف .

ـ اى اسم اذكر له ياسيدى ؟

فاخرج الشيخ من جيبه بطاقة قدمها الى الخادم وهو يقول :

ـ انبئه بان اللورد كريزر يرجو مقابلته لأمر هام .

فتناول الخادم البطاقة وهو يقول :

ـ تفضل بالجلوس ياسيدى ، ريثما احمل اليه بطاقتك .

فجلس اللورد فى الانتظار ، وعاد الخادم بعد لحظه وقال وهو يحنى رأسه باحترام :

ـ تفضل يامولاى .

وذهب باللورد الي الجناح الخاص بالأرشيدوق ، وارشده إلى غرفة الاستقبال .

ومن عجب ان اللورد لم يكد يمر بباب الغرفة ، حتى ارتفع رأسه واعتدلت قامته .

ونهض الأرشيدوق لاستقبال ضيفه .

صعده بعينيه من قمة رأسه إلى أخمص قدميه . بنظرة تدل على التساؤل .

قال اللورد :

ـ اعتقد أنك لا تذكرني ياصاحب السمو .

فاجابه الأرشيدوق فى أدب وهو يبتسم بلطف :

ـ لا أذكر انى تشرفت بمقابلتك قبل الآن ياسيدى اللورد

فابتسم اللورد بدوره وقال :

ـ ومع ذلك فانى أعلم انك قوى الذاكرة .. فهل نسيتنى بهذه السرعة ؟

فقال الأرشيدوق معتذرا :

ـ انى أقابل اناسا كثيرين .

فرفع اللورد عويناته وازال لحيته ، وقال :

ـ احسب إنك ستذكرني الآن .

فابتسم الأرشيدوق وهتف بهدوء تام :

ـ آه ، اهذا أنت يامسيو لوبين ؟ ولكن لماذا التنكر ، ولماذا هذه الحيطة وهذا الحذر ؟ ، أم أنك أردت أن تلبس زيارتك ثوب المفاجآت ؟!

فضحك لوبين وأجاب :

ـ كان لابد من الحذر ياسمو الأرشيدوق ، اما عن الباس زيارتي ثوب المفاجآت فذلك مالم افكر فيه ، لأنى أعرف إنك رجل لا يهتز له هدب امام اشد المفاجآت .

ـ مهما يكن من امر فانى مسرور بمقابلتك ،

فسأله لوبين بلطف :

ـ هل انت واثق من ذلك ؟

فلم يجبه الأرشيدوق ، بل تناول علبة ذهبية بديعة ، قدمهـا الى وهو يقول .

ـ هل لك فى لفافة تبغ ؟ !

ـ شكرا لك ، ولكنى افضل تدخين لفائفى الخاصة ، لانها املم لصحتى.

فهز الأرشيدوق كتفيه وقال :

ـ انك اخطأت فى اختيار مهنتك يامسيو لوبين ، كان يحسن بك أن تشتغل وظيفة فى السلك السياسى

فأجاب لوبين ساخرا :

ـ إن الفارق بسيط بين مهنتى ومهنة الساسة ، فالساسة يحتالون على الشعوب ، اما انا فاحتال على الأفراد ، ومن يدرى فقد ارقى فى احد الأيام إلى مرتبه الساسة .

ـ اذكر انى عرضت عليك مرة ان تعمل فى خدمتى .

ـ هذا صحيح .

ـ ولكنك رفضت .

ـ وهذا ايضا صحيح .

ـ ترى هل عدلت عن رفضك ؟

فابتسم لوبين واجاب :

ـ هب انى قلت لك انى عـدلت عن رفضي ، وانى نسيت او تناسيت مصرع صديقى نورمان كينت .

وهب انى قلت لك ان جميع المبادىء التى كنت ادين بها .. والأغراض التى كنت اسعى اليها .. أصبحت لاتعنينى . ولا تهمنى .. فهل ترحب بى فى خدمتك ؟

فأجاب الارشيدوق :

ـ إذا ردت رأيى بصراحة قلت لك انى لا أرحب بك.

انى اعجب بك واعترف بمواهبك وذكائك .. ويهمنى ان تصبح فى عداد أعوانى .. ولكنى أعلم ان ذلك حلم بعيد التحقيق .. واعلم فوق ذلك أنك إذا انتقضت على مبادئك ولبست غير ثوبك .. أصبحت غير من أنت الآن .. فتقل أهميتك ويأفل نجمك

فسار لوبين إلى احد المقاعد وتهالك عليه .. وراح يرقب الارشيدوق من خلال سحب الدخان التى تنبعث من فمه.

قال الارشيدوق فى لطف وادب :

ـ وحيث انك لم تأت الآن للانضمام تحت لوائى .. فما لا شك فيه انك ترمى من وراء هذه الزيارة إلى غرض آخر .. فهل لى ان اعرف غرضك ؟

فأجاب لوبين بهدوء :

ـ انى جئت لا تجاذب معك أطراف الحديث .. فقد احسست فى خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة ان فى الجو رائحة غامضة .. وخطر لى انى ربمـا استطعت أن اسمع منك ما ينقى الجو .. ويوضح غموضه .. وكان بودى ان اجد هنا صديقنا العزيز الدكتور ماريوس

ليساهم معنا فى الحديث .
فنظر الأرشيدوق إلى ساعته وقال :
ـ انى انتظر قدومه بين لحظة واخرى . . لقد كان هو المسئول عن . . عن الحادث المشئوم الذى ذهب ضحيته صديقك نورمان كينت .
فلمعت عينا لوبين وقال :
ـ هذه احدى الحقائق التى كنت احترق شوقا إلى معرفتها .
ثم استطرد على الأثر . . بصوت هادىء لا ينم عن الحقد الذى يملأ جوانب نفسه :
ـ انت تعلم الغرض من زيارتى ياسمو الأرشيدوق . . انى جئت لا ستفسر عن صحة صديقك هنريخ .
ـ اعتقد انه فى خير حال
ـ ماذا قال لرجال البوليس ؟
ـ آه . . لقد كنت اتوقع هذا السؤال .
ـ لا عجب .. فانى رجل مطبوع على الفضول .
فدق الأرشيدوق رماد لفافته ببطء واجاب :
ـ ما دمت تريد ان تعرف . فاعلم اذن انه انبأ رجال البوليس بأن عمه الذى اعتاد ان تفاجئه نوبات عصبية حادة قد وصل من (ميونيخ) امس وانك اقتحمت المنزل زاعما انك طبيب فاستطعت الدخول قبل ان يتمكن من طردك ودحض مزاعمك . ثم هددته بمسدسك وانبأته

انك ارسين لوبين ، واختطفت عمه المريض.
ولم يكن دوسل يعلم بطبيعة الحال لماذا اقدمت على هذه المغامرة ولماذا اختطفت (المريض) ولكنه وجد انه لا يخسر شيئا إذا ترك رجال البوليس حل هذه المعضلة .
ـ واذن فهذا هو السبب فى انتشار رجال البوليس فى الأماكن التى اعتدت غشيانها.
ـ لا شك فى ذلك .. وقد كان هنريخ موفقا فى الايضاحات التى ادلى بها لرجال البوليس.
انه ضرب عصفورين بحجر واحد . . فتخلص من مضايقات البوليس ، واطلق رجال سكوتلانديارد [ادارة البوليس] فى اثرك
ـ انه رجل ذكي
ـ ولكنك كنت اذكي منه يا عزيزى لوبين ، كانت حيلتك غاية فى البراعة ولو لم تذكر اسمك لما تعذر على ان اعرف انك صاحب هذه الحيلة لأن عليها طابع ذكائك وبراعتك .
ولكن حدثنى يا مسيو لوبين : ما ذا فعلت بالفتاة ؟
وقد تلقى الأرشيدوق هذا السؤال ببساطة وقلة اكتراث . فحملق لوبين فى وجهه . ثم ضحك وقال :
ـ هذه سذاجة لم أعهدها فيك يا رودلف .
فرفع الأرشيدوق حاجبيه وقال وقد ارتسمت فى عينيه نظرة ريبة :

- انك اردت ان تعرف امراً فسألتنى ، وأجبته ، فأية غرابة فى ان احذو حذوك ؟

فهز لوبين رأسه ، وابتسم ، وغاص فى مقعده ، ورفع عينيه إلى سقف الغرفة .

لم يكن فى سقف الغرفة ما يلفت النظر .

كان يفكر ، ويحاول ان يكشف شيئا من خواطر الشاب الهادىء الجالس امامه .

ولكنه ما لبث ان عترف بعجزه عن التغلغل فى اعماق هذا التمثال الجامد ، وهذا المخلوق الجهنمى الذى يعرف كما لا يعرف اى إنسان آخر كيف يسيطر على عواطفه ، ويخفى شعوره ، ويظهر غير مايبطن .

شعر لوبين بأنه امام غريم كفء ، لا يقل عنه دهاء وسعة حيلة .

* * *

التقت عيونهما لحظة ، كما يلتقى السيفان .

قال الأرشيدوق فى ادب :

- ما اشبهنا برجلين يتبارزان بأسلحة غير منظورة ؛ ولا يستطيع كل منهما ان ينال من غريمه .

فلم يجبه لوبين . واستطرد الأرشيدوق :

- من المتفق عليه بيننا انك عقبة فى سبيلى يسرني كثيراً ان اتخلص منها . فما قولك إذا اسلمتك الآن إلى رجال البوليس ؟

- إذا فعلت ذلك تعين عليك ان تجيب على بضعة اسئلة حول مسائل

يهمك الاستتار فى دوائر البوليس .

- هذا صحيح . وما قولك فيما إذا قررت ان اتخلص منك . الآن . هنا .

- هذا امر متعذر . فى فندق حافل بالنزلاء والخدم كفندق ريتز

- ذلك صحيح أيضا .

وصمت الأرشيدوق قليلا . ثم قال :

- ان بين يديك الآن شيئا ، أو شخصا ، يهمنى أمره .

- انت تعنى «عم» هنريخ طبعا .

- وانت يهمك ان تعرف لماذا يهمنى أمر هذا الشخص .

- ربما .

- إذن فما قولك فى ان نتبادل . فترشدني إلى مكان الشخص . واصارحك بغرضي منه .

- لا اظن ان هناك سبيلا إلى هذه المبادلة .

« • »

وفجأة سمع لوبين وقع اقدام . ثم فتح باب الغرفة . ودخل رجل عظيم الجسم كالعمالقة . بشع الخلقة كالقرود .

هتف الرجل بصوت ينم عن السرور :

- يا صاحب السمو .

ثم صمت فى الحال إذ وقع بصره على لوبين .

ونهض لوبين واقفا وقال وهو يبتسم . ويده اقرب ما تكون

إلى الجيب الذى وضع فيه مسدسه .
ـ ماريوس ، اهذا انت : ما اعظم سرورى بلقائك .
فقطب العملاق حاجبيه . وتحول إلى الأرشيدوق وبدأ يتحدث
اليه باللغة الألمانية بصوت أجش .
ولكن الأرشيدوق قاطعه بقوله :
ـ لنتكلم بالانجليزية أو الفرنسية ياعزيزى ماريوس . فقد يهم
صديقنا لوبين أن يعرف موضوع الحديث .
فسأل ماريوس بالانجليزية :
ـ كيف استطاع الدخول ؟
ـ انه دخل من الباب .
ـ ورجال البوليس . كيف . .
فقاطعه الأرشيدوق :
ـ انك تحدثت فى هذا مع مسيو لوبين يا عزيزى ماريوس .
صحيح أن هربيخ وجه اليه بعض التهم لتغطية موقفه . ولكن
ذلك لايمنعنا من الاعتراف بأن القبض على مسيو لوبين من شأنه أن يجر
علينا بعض المتاعب والمضايقات .
فغمغم لوبين :
ـ بل أنه يجر عليكما متاعب لاحصر لها .
فتجاهله الأرشيدوق . وقال هو يشعل لفافة تبغ أخرى :
ـ ولكن ماذا عندك من الأنباء ياعزيزى ماريوس . لقد كانت

تبدو على وجهك علامات الارتياح عندما دخلت .
فاجاب ماريوس .
ـ إننى نجحت فى مهمتى يامولاى .
ـ تكلم ، واوضح . فهذه أنباء قد تسر صديقنا لوبين .

« • »

ونظر ماريوس إلى لوبين باحتقار وسخرية ، وادرك لوبين ماوراء
هذه النظرة .

« • »

قال العملاق ببطء :
ـ ان الآنسة سونيا ديلمار بين ايدينا .
فلم يأت لوبين بحركة . ولم ينطق بحرف .
واستطرد ماريوس وهو ينظر إلى لوبين .
ـ لعلك تذكر إنك اتصلت بى تليفونيا لتتبجح بفوزك ، وقد
كان تبجحك هذا سببا فى فشلك ، فاننى إتصلت فى الحال بادارة التليفون
وعرفت رقم تليفونك ، واهتديت الى عنوانك فى دليل لندن .
وقد وجدنا سونيا ديلمار وحدها فى منزلك فكان الأمر ايسر
مما توهمنا ، لأننى كنت اتوقع ان اجدك او أن اجد بعض اصدقائك
فقاطعه لوبين :
ـ هذه خدعة ، إنك لم تستطع الوصول اليها .
فقال الأرشيدوق :

- لا اظن ذلك ياعزيزى لوبين ، فالدكتور ماريوس رجل مقتدر وليس هناك ما يحمله على الكذب .

فاقترب ماريوس من لوبين خطوة ، وقال وشرر الغضب يتطاير من عينيه :

- انك وصديقك نورمان كينت قد خدعتمانى فى احد الأيام ، وقد دفع صديقك حياته ثمنا لهذه الخدعة ، فاذا خطر لك الآن .

فقاطعه الأرشيدوق مرة اخرى :

- لنكن عمليين ياعزيزى ماريوس ، إنك نجحت فى مهمتك ، وهذا حسن ، ولكن صديقنا هذا يأبي إلا ان يتدخل فى كل شأن من شؤوننا ، وقد تفضل الآن فالقى بنفسه بين ايدينا .

فقاطعه لوبين بأن ضحك وقال متمما عبارته :

- فماذا يجب ان نفعله بجثته ؟؟؟

حسنا ، سأترك لكما الوقت الكافى للتفكير فيما يجب أن تفعلاه بجثتى ، ولكنى أحب فقط ألا يعتقد صديقى العزيز ماريوس أن النبأ الكاذب الذى نقله الينا الآن عن إختطاف الآنسة سونيا ديلمارلم يشعل الشيب فى رأسى .

قال ذلك . . وخلع قبعته . . . وانتزع كتلة الشعر الأشيب التى تنكر بها . .

فعل ذلك ببساطة . .

وببساطة كذلك سقطت كتلة الشعر من يده ، فانحنى ليلتقطها .

ولكنه لم يكد يلتقطها حتى سقطت القبعة من يده كذلك . . وتدحرجت على أرض الغرفة . . وأصبحت على مسافة خطوة واحدة من الباب .

فتبعها فى هدوء . . وبطء . . والتقطها . . . ووضعها على رأسه . وهو يقول :

- إن الخصوم الأقوياء الذين على شاكلتنا . . لا يمكن أن يعيشوا طويلا فى جو واحد . . ولذلك أرجح أننا سنتقابل مرة أخرى . . وعندئذ تكون تصفية الحساب ، فالى اللقاء . .

قال ذلك ومرق من الباب كالسهم . .

وبعد لحظة سمع الرجلان صوت غلق الباب الخارجى .

« ٥ »

كان غرض لوبين من هذه الزيارة أن يستدرج الأرشيدوق إلى الافضاء ببعض المعلومات . ولكنه قام بالزيارة دون أن يضع خطة معينة.

كان يعتمد — كما هى العادة — على ذكائه ، وسرعة خاطره ، ثم على الظروف والفرص التى قد تسنح له ، لأنه تعلم بالتجربة ان وضع الخطط المطولة مضيعة للوقت ، سيما إذا كان خصومه من طراز الأرشيدوق والدكتور رايت ماريوس ، اى من الدهاة الأقوياء الذين يستطيعون ان يفسدوا عليه تدابيره باشارة او كلمة .

اما الفرص التى تعرض عفوا ، وتنتهز بلباقة وذكاء ، فانها تكون فى العادة اجدى من الخطط الموضوعة .

وقد كان لوبين مقتنعا بصدق النبأ الذى جاء به ماريوس ، ولكن قدر ان مثل هذا النبأ لايمكن ان يمر بغير تعليق او تعقيب ، وان حديثا فى صدده لابد ان يدور بين الرجلين ، وهو لذلك كان ابعد من ان يفكر فى الفرار ، قبل ان يسمع هذا الحديث الهام .

فتح لوبين الباب الخارجى ، واغلقه .

ولكنه لم ينصرف بل عاد ادراجه بخفة ، وتوارى فى الغرفة المجاورة لقاعة الاستقبال حيث ترك الأرشيدوق وماريوس .

« • »

وقد كان خروج لوبين بتلك السرعة فجائيا وغير منتظر ، فانقضت بضع ثوان قبل ان يدرك ماريوس ماحدث ، فلما ادرك ذلك ؛ وهم بان يسرع فى إثر لوبين ، إستوقفه الأرشيدوق بقوله :

ـ لافائدة من احداث جلبة الآن ياعزيزى ماريوس .

ـ ولكنى لايزال فى الاستطاعة القاء القبض عليه يا . .

ـ يجب الا تنسى ان فى أستطاعته ان يقول عنا كلاما يجلب علينا من المتاعب اكثر مما يجلب تدخله فى شؤوننا . فدعه يذهب وسوف نتقابل كما قال . وعندئذ تكون تصفية الحساب .

ـ لقد كانت الفرصة سانحة الآن للتخلص منه .

ـ لاتزال الفرص كثيرة ياماريوس . إجلس الآن وحدثنى بما فعلت . .

فجلس العملاق فى احد المقاعد . . ونظر اليه الأرشيدوق فى فضول

قال ماريوس باختصار .

ـ اننا اختطفنا الفتاة ، وارسلناها إلى (سولتهام) . وستأتى الباخرة الليلة مرة أخرى . . وسيكون (فاسيلوف) على سطحها . . وسوف يتم زواجهما بمجرد اجتماعهما فى الباخرة .

ـ وقبطان الباخرة ؟

ـ انه الطوع لى من بنانى .

ـ وهل أنت واثق من نجاح الخطة ؟ هل انت واثق من أن هذا التحدى فيه الكفاية ؟

ـ نعم . . فأنا اعرف السير جون ليسنج كما اعرف نفسى . وليس عندى أقل شك فى أنه سيقبل اقتراحى . . فاذا لم تظهر طوارىء أو عقبات ليست فى الحسبان . . كان دخولك (أوكرانيا) قبل انقضاء أسبوع واحد أمرا مؤكدا .

* * *

كانا يتحدثان باللغة الألمانية . . وقد سمعهما لوبين . . وفهم حديثهما .

وجد أن هذه العبارات القلائل التى تبودلت بين الرجلين تؤيد ظنونه . . فاقليم (اوكرانيا) هو أغنى أقاليم روسيا بالبترول . واقربها إلى حدود (بافاريا)

سأل الأرشيدوق :

ـ والاجراءات الأخرى ياماريوس ، هل تمت كلها ؟

ـ كل شىء يسير على ما يرام ياسيدى الأرشيدوق ، ألم تقرأ

الصحف ، وتلاحظ مبلغ توتر العلاقات الدولية ؟ أن برميل البارود على استعداد . ولا تنقصه سوى الشرارة التى تحدث الانفجار .

وقد تلقيت اليوم برقية بالرموز الجفرية من أحد رجالنا فى (فيينا) فحللت هذه الرموز . . واليك نص البرقية يامولاى .

فتناول الأرشيدوق الورقة التى قدمها اليه ماريوس ، وقرأها ، واخذ يسير فى الغرفة جيئة وذهابا .

وظل ماريوس قابعا فى مكانه ، يتبع الأرشيدوق ببصره وهو يروح ويجئ .

وتكلم الأرشيدوق أخيرا فقال :

ـ وما قولك فى صديقنا لوبين ؟ انه رجل ذكي ، وأنا شديد الاعجاب به ، ولكنى لا اسمح قط لشعورى الشخصي أن يطغى على المصلحة العامة .

أنه قذى فى عيوننا ، ويجب ان اشجعك على التخلص منه.

لا شك أنه سيحاول البحث عن الآنسة سونيا ديلماز ، متى علم انك كنت جادا فيما ذكرت ، وانك اختطفتها حقا.

فقال ماريوس وهو يبتسم :

ـ سوف اتخذ الاجراءات اللازمة لمساعدته فى ابحاثه الى حد ما .

ومن ثم تتخلص منه باحدى الوسائل ؟

فأجاب العملاق بصوت ينم عن غيظه وحنقه :

ـ لا شك انى سأتخلص منه هذه المرة نهائيا .

فضحك الأرشيدوق

الفصل الخامس

المطاردة

تسلل لوبين من فندق (ريتز) ، دون ان يرتاب أحد فى امره ، كان قد ذهب إلى الفندق لتسقط الأنباء ، فخرج منه متخوما بالمعلومات الهامة الخطيرة التى وصلت إلى أذنيه دون أن يكلف نفسه شيئا كثيرا من العناء .

قصد لتوه إلى شارع سان جيمس ، ودخل (نادى السيارات الملكى) ، وبحث هناك فى الخرائط الكثيرة التى بالمنتدى عن موقع (سولتهام) .

وبعد بحث قصير وجد أن (سولتهام) هى قرية صغيرة فى (سافولك) تقع بين مدينتى (ساوثوالد) و (الدبورج) ، وان بها اكمة مرتفعة تشرف على الشاطىء .

اثبت لوبين هذه المعلومات فى ذاكرته . وانصرف من نادى السيارات الملكى وهو يفكر .

ومازال يجد فى السير حتى وصل الى ميدان ووترلو فوقف هناك فى مكان معين ، واخرج لفافه تبغ ، واشعلها ، وراح يدخن .

ولم تنقض بضع دقائق ، حتى اقبل عليه غلام فى نحو الثانية عشرة من عمره ، وسأله:

ـ هل انت المستر سميث ؟!

فاجابه لوبين بغير تردد :

ـ نعم .

لقد طلب إلى بعضهم ان احمل اليك هذه الرسالة .

فتناول لوبين الرسالة وفضها ، وقرأ فيها ما يلي :

« لم اتلق رسالة ـ انا فى الطريق نحو الشمال الشرقى ـ سأبعث اليك ببرقية من من والدورق »

« روجر »

كانت الرسالة مكتوبة بالقلم الرصاص ، وحروفها تدل على انها كتبت بسرعة .

اعاد لوبين قراءتها ، ثم قال للغلام :

ـ شكراً لك ..

ووضع فى يده قطعة من النقود .

(•)

كان مما يؤسف له ان ينفق روجر بضعة شلنات ثمنا للبرقية التى سيرسلها من (والدورف) لارشاد لوبين إلى المكان الذى حملت اليه الفتاة ، فقد عرف لوبين هذا المكان قبل ان يبرح فندق (ريتز)

بيد انه عندما وضع خطته الأساسية ، لم يكن يعلم انه سيوفق كل هذا التوفيق فى زيارته للارشيدوق .

كانت خطته محكمة ، محبوكة الأطراف ، لم يترك فيها لوبين شيئا للظروف والمحادثات ، حتى لا تفلت منه الفتاة ، وتقع لقمة سائغة فى

يد ماريوس .

وقد دلته الرسالة التى حملها اليه الغلام على ان الخطة انفذت بدقة ونجاح ..

كان قد اتفق مع روجر على ان يكمن هذا الأخير فى سيارته فى مكان من الشارع يستطيع منه ان يرقب كل ما يقع فى المنزل ، حتى إذا اختطفت سونيا ، امكنه ان يتعقب خاطفيها عن كثب .

واتفق معه كذلك على ان يصطحب معه غلاما ، لكى يدفع اليه برسالة كتلك التى بعث بها وذلك بمجرد خروجه من لندن ومعرفته الطريق او الاتجاه الذى سلكه خاطفو سونيا ..

كذلك اوعز لوبين الى سونيا ان تلقى برسالة الى روجر ـ اذا استطاعت ـ تذكر فيها المكان الذى يقصد اليه أعوان ماريوس ، هذا إذا نطق احد خاطفيها باسم ذلك المكان على مسمع منها ..

والظاهر ان سونيا لم تستطع معرفة ذلك المكان ، او لم تتمكن من الكتابة ، بدليل ان روجر لم يتلق منها رسالة ما.

ومهما يكن من امر فان لوبين كان مطمئنا إلى ان الفتاة لم تفلت من يده .

شيء واحد ادهشه وحيره ، هو كيف استطاع اولئك الأشقياء ان يختطفوا الفتاة فى رابعة النهار فى شارع حافل بالمارة ورجال البوليس ؟

* * *

وحول منتصف الساعة الثامنة ، هبط لوبين من القطار فى محطة « والدروف » وقصد توا إلي مقصف « بوفيه » المحطة ، وهناك رأى روجر جالسا بين اربع زجاجات جعة .

واحس روجر بيد توضع على كتفه . فرفع رأسه مذعورا ، ونظر إلى لوبين كما ينظر إلي ميت خرج من قبره .

هتف :

ـ أنت . أنت ، ماذا جاء بك إلى هنا ؟

ـ رأيت سيارتى أمام المحطة ، فادركت انك هنا .

ـ ولكن كيف علمت انى فى (والدورف) ؟ !

ـ ألم تبعث إلى ببرقيته ؟

ـ نعم ، ولكنى بعثت بها منذ نصف ساعة فقط ، فى حين ان الرحلة من لندن إلى هنا تستغرق أربع ساعات بالقطار .

ثم انى طلبت اليك فى برقيتى أن تتحدث إلى تليفونيا لانهى اليك بعض المعلومات الهامة ولكنى انتظرت هنا عبثا ، ومر الوقت بسرعة دون ان تتصل بي تليفونيا كما طلبت اليك ، حتى خيل إلى انك لابد قد وقعت بين يدى المفتش تبل ، أو غيره من الأصدقاء الذين يبحثون عنك .

فاجابه لوبين وهو يبتسم :

ـ الواقع . انى لم أكن بحاجة إلي برقيتك أو إلى ماعندك من

الأنباء الهامة ، فقد علمت من ماريوس نفسه ان الفتاة فى سولتهام .

ـ يالمى ، وكيف ذلك ؟

ـ الأمر بسيط ، كان ماريوس يتكلم فاصغيت اليه .

ـ فى فندق ريتز ؟

فأومأ لوبين برأسه علامة الايجاب ، ثم سرد على صديقه بايجاز ما اتفق له .

واصغى اليه روجر فى دهشة ثم هتف :

ـ هل سمعت كل هذا ؟

ـ نعم ، وهو يؤيد ما استنتجته منذ البداية ، ولكنى لم اعلم بعد كيف اختطفت سونيا .

فاجاب روجر :

ـ انى كنت ارقب الباب عن كثب كما امرتنى ، فجاء ثلاثة اشخاص احدهم يرتدى ثوب مفتش بوليس ، ومد أحدهم اصبعه إلى جرس الباب ؛ ولكنه لم يدق الجرس ، ثم اخرج الثاني من جيبه اداة وضعها فى ثقب الباب ، وما هى إلا لحظة حتى فتح الباب .

وما كاد الرجال الثلاثة يتوارون داخل المنزل ؛ حتى اقبلت إحدى سيارات الأسعاف ؛ ووقفت أمام الباب ، وهبط منها رجلان يرتديان ثياب رجال الاسعاف .

كانت المؤامرة غاية فى الدقة والبراعة ، واقول لك الحق انى لم

اعمالك من الشعور بالاعجاب بذكاء هؤلاء الأشقياء.

و بعد دقيقتين او ثلاث ، خرج الرجال من المنزل حاملين الفتاة على إحدى النقالات .

كل ذلك فى وضح النهار . تحت سمع المارة وابصارهم .

ولم تستغرق المهمة كلها اكثر من خمس دقائق . ثم وثب الجميع إلى سيارة الاسعاف .. وانطلقت بهم تسابق الريح .

ولا شك فيه انهم خدروا سونيا قبل ان يختطفوها والا .

فقاطعه لوبين بصوت خافت :

ـ يالها من فتاة عظيمة !

فقال روجر بلهجة الحالم :

ـ نعم . انها فتاة عظيمة .

فنظر اليه لوبين بامعان . ورآه محملقا نحو إحدى زجاجات الجعة وعلى وجهه علامات التفكير والتأمل .

قال فى رفق :

ـ هل وقعت فى شركها ؟

فرفع روجر عينيه وسأل بدوره :

ـ وانت !

فلم يجبه لوبين . بل اخرج من جيبه لفافة تبغ . واشعلها وراح يدخن فى سكون .

قال بعد لحظة :

ـ ان حيلة سيارة الاسعاف ، هى من الحيل الطريفة . فسجلها فى ذهنك يا روجر ، فقد نجربها فى احد الأيام .

انت تعقبتهم طبعا إلى سولتهام ؟

ـ نعم .

ـ واين وضعوا الفتاة ؟

ـ إنهم ذهبوا بها إلى منزل كبير قائم على أكمة بعيدة عن القرية ، وقد مررت بسيارتى فى اثرهم ، ولكنى لم اجرؤ على الوقوف .

ثم انحرفت بالسيارة ، وعدت ادراجى إلى هنا .

وبهذه المناسبة ، يجب ان اقول لك اننى عرفت زبونا قديما من زبائننا ، بين أولئك الذين رأيتهم متنكرين بزى رجال الاسعاف .

فنظر إليه لوبين متسائلا ، وقال روجر :

ـ عرفت بينهم صديقنا القديم هرمان ، الذى كان ساعد ماريوس الأيمن فى حادث اختراع الأستاذ فارجان .

فقال لوبين بلطف :

ـ سوف يكون من دواعى سرورى ان اجدد معرفتى به .

وازدرد قدحا من الجعة .

قال روجر بعد لحظة :

ـ يخيل الى ان افضل ما نستطيع عمله الآن ، هو أن نتصل

تليفونيا بالمفتش تيل ، ونرشده الى مكان سونيا .. فيلقى القبض على هؤلاء الأشقياء وهم فى حالة تلبس .

- ويلقى القبض علينا كذلك ، ونحاكم .. ونتقبل الحكم كالابطال البواسل . اليس كذلك ؟

- ليس من الضرورى أن نستهدف للاعتقال ، ففى استطاعتنا ان نرقب ما يحدث عن بعد .

- وماريوس ؟

- اننى لم اره مع اولئك الذين اختطفوا سونيا . ولكن ليس أيسر علينا من الايقاع به .. بعد ان نجرده من اعوانه .

- كلا ياصديقى ، ليس يكفى ان نقطع ذنب الافعى ، ان ماريوس مجرم من اخطر طراز ، فليس يكفى اذن ان نحبط مؤامراته الواحدة تلو الأخرى .. لأنه سيدأب على نشاطه .. مادامت فى عروقه نقطة دم واحدة .. تهيب به ان يعمل على إبادة الجنس البشرى ليملأ جيوبه بالأصفر الرنان .

المهم ان نبيد هذا الرجل ، والمهم ان نثأر لصديقنا نورمان كينت .

اننى عدت الى انجلترا لهذا الغرض ، ولن يهدأ لى بال حتى اشعر باننى انتصرت وانتقمت .

كلا يا صاحبي . إذا نحن تركناه الآن فانه يعود الى نشاطه ومؤامراته

بعد ايام ، او بعد اسابيع او شهور ، فيصبح لزاما علينا بدورنا ان نبدأ جهودنا من جديد .

ثم ان بينى وبينه حسابا يجب تصفيته ، ومن الأفضل ان تتم التصفية باسرع ما يمكن ، وخير البر عاجله .

فهز روجر كتفيه وسأل :

- اذن ماذا يجب ان نفعل الآن ؟

- لاسبيل غير ان ننطلق الى سولتهام فى الحال .

(*)

اوقف روجر السيارة فى دغل على بعد ثلاثة اميال من « سولتهام » وقال :

- ها هو المنزل .

واشار بأصبعه الى كتلة سوداء ضخمة قائمة فى الخلاء فسأله لوبين:

- هل تحيط بالمنزل حديقة ؟ اننى ارى فى الظلام اشباح اشجار .

- ان المنزل قائم وسط قطعة ارض مترامية الأطراف مليئة بالعوسج والعشب ، وبين باب المنزل وشاطىء البحر طريق ملتو ينحدر على سفح الاكمة حتى يصل إلى الشاطىء .

وسار الصديقان فى حذر ، حتى مرا بباب المنزل.

تساءل لوبين :

- ترى هل لا تزال الفتاة هنا ؟

تليفونيا بالمفتش تيل ، ونرشده إلى مكان سونيا .. فيلقى القبض على هؤلاء الأشقياء وهم فى حالة تلبس .

– ويلقى القبض علينا كذلك ، ونحاكم .. ونتقبل الحكم كالابطال البواسل . أليس كذلك ؟

– ليس من الضرورى أن نستهدف للاعتقال ، فى استطاعتنا ان نرقب ما يحدث عن بعد .

– وماريوس ؟

– انى لم اره مع اولئك الذين اختطفوا سونيا . ولكن ليس أيسر علينا من الايقاع به . . بعد ان نجرده من اعوانه .

– كلا ياصديقى ، ليس يكفى ان نقطع ذنب الافعى ، ان ماريوس مجرم من اخطر طراز ، فليس يكفى اذن ان نحبط مؤامراته الواحدة تلو الأخرى .. لأنه سيدأب على نشاطه .. مادامت فى عروقه نقطة دم واحدة .. تهيب به ان يعمل على إبادة الجنس البشرى ليملأ جيوبه بالأصفر الرنان .

المهم ان نبيد هذا الرجل ، والمهم ان نثأر لصديقنا نورمان كينت .

إنى عدت الى انجلترا لهذا الغرض ، ولن يهدأ لى بال حتى اشعر بانى انتصرت وانتقمت .

كلا ياصاحبى ، إذا نحن تركناه الآن فانه يعود الى نشاطه ومؤامراته

بعد ايام ، او بعد اسابيع او شهور ، فيصبح لزاما علينا بدورنا ان نبدأ جهودنا من جديد .

ثم ان بينى وبينه حسابا يجب تصفيته ، ومن الأفضل ان تتم التصفية بأسرع ما يمكن ، وخير البر عاجله .

فهز روجر كتفيه وسأل :

– اذن ماذا يجب ان نفعل الآن ؟

– لاسبيل غير ان ننطلق الى سولتهام فى الحال .

(*)

اوقف روجر السيارة فى دغل على بعد ثلاثة اميال من « سولتهام » وقال :

– ها هو المنزل .

واشار بأصبعه الى كتلة سوداء ضخمة قائمة فى الخلاء فسأله لوبين:

– هل تحيط بالمنزل حديقة ؟ انى ارى فى الظلام اشباح اشجار .

– ان المنزل قائم وسط قطعة ارض مترامية الأطراف مليئة بالعوسج والعشب ، و بين باب المنزل وشاطىء البحر طريق ملتو ينحدر على سفح الاكمة حتى يصل الى الشاطىء .

وسار الصديقان فى حذر ، حتى مرا بباب المنزل .

تساءل لوبين :

– ترى هل لا تزال الفتاة هنا ؟

وحانت منه التفاتة نحو الشاطىء فرأى فى عرض البحر كتلة سوداء ضخمة يضيء فيها مصباحان احدهما احمر والآخر اخضر فهتف :

ـ انظر يا روجر ، ها هى الباخرة التى تكلم عنها ماريوس .

قال ذلك بصوت يرتجف من فرط الانفعال والسرور لاقتراب ساعة النضال .

اما روجر فانه حول بصره نحو البحر .. ورأى الباخرة وشعر بقلبه يهبط بين جنبيه .

قال :

ـ انها تقترب يا لوبين

ثم سأل بعد لحظة :

ـ هل تستطيع تقدير الوقت اللازم لوصولها إلى الشاطىء ؟

ـ ذلك يتوقف على سرعتها ، وعلى المسافة التى تفصلها عنا ، ومن المتعذر علينا تقدير هذه السرعة وهذه المسافة ، بسبب ارتفاعنا العظيم عن مستوى الماء ، ولكنى ارجح انها الآن على بعد ميلين من الشاطىء .

قال ذلك ، ثم رفع رأسه ، وخيل انه ينصت ، فسأله روجر :

ـ ماذا سمعت ؟

ـ لا شيء ، وتلك هى المعضلة ، لاننا لم نر ماريوس اثناء قدومنا والمسألة الآن هى هل وصل هذا الرجل إلى المنزل قبلنا ، او انه

لا يزال فى طريقه إلى هنا ؟

فهز روجر رأسه ، ولم يتكلم .

ونظر لوبين إلى البحر ، وإلى المنزل ثم وقف فجأة وقال بلهجة جدية :

ـ اصغ إلى يا روجر ، انى اريدك على ان تعود فى الحال إلى لندن .

فساد صمت قصير ، ثم تكلم روجر ، فقال ببطء ، كأنه يريد ان يفهم معنى كل كلمة .

ـ تريدني على ان اعود فى الحال إلى لندن ؟

ـ نعم ، عد الي لندن ، وابحث عن السير جون ليننج ، ابحث عنه فى كل مكان ، وجىء به إلى هنا ، ولو رغم انفه .

ـ ما هذا السخف يا لوبين ؟

ـ ان وجود هذا الرجل ضرورى جداً يا روجر .

ـ وسونيا ؟

ـ انى هنا .. وسابقى هنا للدفاع عنها إذا لزم الحال .. فكن مطمئنا .

يجب ان تسجل فى هذه الرحلة رقما قياسيا فى السرعة .

ـ ان فى استطاعتك ان تسرع بالسيارة اكثر مما استطيع .

ـ ربما ، ولكن لا تنسى ان فى استطاعتى ان اناضل عدداً من الرجال لا تستطيع انت مناضلتهم ، واستطيع ان أصيب الهدف كما

لا تستطيع انت .

اضف إلي ذلك ان رجال البوليس في لندن يبحثون عني ويترصدونني فالرحلة إلى لندن اسلم لك منها لي .

هل فهمت ياروجر ، يجب ان تأتي بالسير جون ليـنج باسرع ما يمكن .

فصمت روجر وكان صمته ابلغ من الكلام في التعبير عن تردده . وادرك لوبين معنى تردده ، وفهم انه لا يريد ان يتخلى عن الفتاة في هذا الوقت الدقيق ، والباخرة تقترب .

قال :

ـ أصغ إلي يافتى ، أننا نعلم الآن أن هذه المؤامرة لم تدبر إلا لاثارة السير جون ليـنج ، وايغار صدره ، وإعداده لأن يقبل — بدافع الرغبة في الانتقام — ماسوف يقترحه علية ماريوس من إشعال النار في البلقان ، وإثارة حرب ضد روسيا ، وهي الحرب التي يريدها ماريوس ليملأ جيوبه ، ويريدها الأرشيدق رودلف بدافع من غروره وخيلائه واعتقاده بانه يصلح لأن يكون نابوليونا عصريا .

ونجاح ماريوس يتوقف على جهل السير ليـنج بمؤامراته متلبسا . فاذا علم ليـنج بهذه المؤامرة ، وضبط ماريوس متلبسا ، فان المؤامرة لا تفشل فحسب ، بل أننا نكسب كذلك صديقا وعونا قويا في شخص السير ليـنج ، وتكون الحرب التي يشعلها السير ليـنج هي ضد ماريوس

وأمثاله . لاضد روسيا ، فهل فهمتني الآن ياروجر .

وضغط على كتف صديقه ، فاطرق روجر برأسه وستطرد لوبين :

ـ إنني أعدك بان أرجىء المعركة الأخيرة حتى تعود وتشترك فيها بنفسك .

أنا لم أضع خطتي بعد ، ولكني سأتجنب المعركة الحاسمة ما أمكن حتى تعود ، فلا يكون لي وحدي فخر النضال في سبيل الغرض الذي نعمل له . وفي سبيل الفتاة البائسة التي يريد كل منا أن يكون له فخر إنقاذها .

فرفع روجر رأسه ، ونظر إلى لوبين ، والتقت عيون الرجلين لحظة . ثم قال روجر : ـ ساذهب . .

فبسط لوبين يده لصديقه . فتناولها هذا وشد عليها بحرارة .

قال لوبين :

ـ إذهب في حراسة الله . ولاتنس أن الدقائق ثمينة . وأن المسألة ليست مسألة موت أو حياة ، بل انها كذلك مسألة شرف . شرف الفتاة التي أظن انك تحبها .

وإذ رفض السير جون ليـنج ان يـأتي مختارا ؛ فاستخدم مسدسا وارغمه على مرافقتك .

ساحاول ارجاء المعركة حتى تحضر فاذا استطعت فانك ستجدني هنا في انتظارك ، وإذا لم استطع فسأترك لك رسالة تحت حجر بجانب هذه الشجرة ، وإذا لم اترك لك رسالة كان معنى ذلك .

- كان معنى ذلك ؟

فابتسم لوبين وقال :

- كان معنى ذلك انى سبقتك الى العالم الآخر ، وانه يجب عليك متى قابلت ماريوس ان تحييه برصاصة .

الفصل السادس

المعركة

شيع لوبين السيارة ببصره حتى اختفت ، ثم قفل راجعا ، وسار فى الطريق إلى المنزل .

كان يشعر بعنف التجربة التى مر بها روجر وخرج منها خروج الرجل البطل .

شعر بالنضال العنيف الذى اضطربت به نفسه ، النضال بين الغيرة والصداقة ، بين الحب والواجب ، واحس بالآلام التى لابد قد عصرت قلب الفتى عصرا ، حتى وفق اخيرا إلى القرار الذى سجل به نبل خلقه وطيب عنصره .

(*)

ارسل لوبين بصره نحو البحر .

كانت الباخرة على بعد ميل واحد ، لا على بعد ميلين كما زعم ولكنه كذب متعمدا ، ليطمئن روجر ، ويغريه بالرحيل .

ولاحظ ان الباخرة قد لزمت مكانها ثم سمع رنين السلاسل الحديدية

فادرك انها قد القت مرساها .

اخذ يقترب من المنزل حتى انتهى إلى اشجار الموسج التى تحيط به ، وهناك ارهف اذنيه ، ولما لم يسمع حركة او حسا ، تراجع إلى الوراء خطوة ثم وثب فوق سور الموسج بخفة النمر .

* * *

وهبط لوبين فى الجانب الآخر من سور الموسج وكان هبوطه فوق ارض مغطاة بالأعشاب الطويلة ؛ فلم تحدث قدماه صوتا مسموعا .

ولكنه مع ذلك تريث وانصت .

كان السكون تاما والظلام شاملا ، وليس ثمة بصيص من النور يخترق سجف الليل .

راح يمشى بخفة وهدوء ، حتى دار بالمنزل من جميع نواحيه ، ثم كمن تحت إحدى الأشجار ، واخذ ينتظر .

ولم يطل انتظاره ؛ فانه مالبث ان سمع صوت محرك .

كان الصوت صادرا من ناحية البحر ، فاطل لوبين برأسه ، ورأى شبحا اسود صغيرا يشق عباب البحر فى منتصف المسافة بين الباخرة والشاطىء .

وفى ذات الوقت سمع صوتا آخر من ناحية المنزل ، فحول رأسه ، ورأى رجلا آخر يخرج من المنزل وفى يده مصباح .

ثم رأى رجلا آخر فثالثا .

(*)

جاس لوبين فى مكانه بين العشب ، وراح يرقب الرجال الثلاثة وهم يسيرون فى الطريق المنحدرة نحو الشاطىء .

كانوا يتحدثون ، ولم يتبين لوبين شيئاً من حديثهم حتى مروا بالقرب منه ، وعندئذ سمع احدهم يقول بالانجليزية بلهجة تخالطها الرطانة الالمانية :

– ياللشيطان . كم أود أن أنام . إننى لم أذق طعم النوم منذ يومين.

فأجاب رجل آخر بمزيج من الايطالية والانجليزية :

– ألا تتعب من كثرة النوم !

وقال الثالث برطانة أسبانية :

– إنه ليس بحاجة إلى النوم . بقدر ماهو بحاجة إلى الشراب .

وقد سمع لوبين هذه العبارات . فابتسم . وغمغم :

– ألمانى ، وإيطالى ، وأسبانى ، هذا بديع ، لاشك أن ماريوس يتولى زعامة عصبة أمم .

وواصل الرجال الثلاثة السير لحظة فى سكون ، ثم سأل الايطالى :

– من ذا الذى سيأتى بالفتاة ؟

فاجابه الألمانى باختصار :

– سيأتى بها هرمان .

وقال الأسبانى :

– إنها فتاة حسناء ، وهى تذكرنى بغادة هيفاء قابلتها فى مدريد فى العام الماضى .

فقال الألمانى :

– يخيل إلى انها من ارقى طبقات الهيئة الاجتماعية .

فقال الايطالى :

– مالنا ولها ، إنها لم تخلق لأمثالنا .

وابتعد الرجال الثلاثة وهم يتحدثون ، ولكن لوبين لم يتبين كلمة اخرى من احاديثهم .

خطر له ان ينقض عليهم ، ولكنه عاد فلاحظ انه قد لايستطيع التغلب عليهم ، فيبدون كأنه لفت الأنظار إلى وجوده ، دون ان يفيد من المجازفة شيئاً .

تلفت حوله يمنة ويسرة ، حتى إطمأن انه ليس هناك من يتبع الرجال الثلاثة ، ثم خرج من مكمنه ، واخذ يسير فى اثر الرجال ببطء وحذر .

تخطى الأرض المغطاة بالعشب ، وبدأ ينحدر فى اثر الرجال فى الطريق الصخرى المؤدى إلى الشاطىء .

إضطر ان يبطىء وان يضاعف حذره ، حتى لايفلت من تحت قدمه حجر يلفت اليه الأنظار .

وحانت منه التفاتة نحو البحر ، فرأى الزورق البخارى يدنو من الشاطىء بسرعة ، ثم لاحظ ان الرجال الثلاثة بدأوا يسرعون الخطى ولعلهم ارادوا الوصول إلى الشاطىء فى الوقت المناسب لاستقبال الزورق .

واسرع لوبين الخطى بدوره ، ثم اشفق ان يراه احد القادمين بالزورق فتوارى بين الصخور الناتئة وكمن هناك فى الانتظار .

ووصل الزورق إلى الشاطىء اخيرا ، ووثب منه ثلاثة رجال تقدم واحد منهم إلى اعضاء (عصبة الأمم) وتحدث اليهم بصوت حجبه هدير الأمواج .

ورأى لوبين ان حامل المصباح يلوح بمصباحه نحو المنزل ، وسمع خلفه فى ذات الوقت وقع خطوات على الصخور فتحول إلى الوراء ، وابصر بشبحين قادمين من ناحية المنزل .

امعن فيهما البصر جيدا ، ورأى ان احدهما ضخم الجثة مهدل الثياب اما الثانى فكان صغير الجسم ، يمشى بخطوات رشيقة متزنة .

خفق قلبه .

عرف فى الشبحين غريمه القديم هرمان ، وصديقته الجديدة سونيا .

ولابد ان يكون الرجل الذى جاء بالزورق ، والرجال الثلاثة الذين ذهبوا لاستقباله قد شعروا باقتراب هرمان وسونيا ، لأنهم تحركوا فى الحال ، واخذوا يرقون الصخور لمقابلة هرمان وسونيا فى منتصف الطريق .

وقد شاءت المصادفات أن تتم هذه المقابلة أمام البقعة التى توارى فيها لوبين .

وأخذ الرجال الخمسة يتحدثون فيما بينهم باصوات خافتة ، وبقيت سونيا ديلمار وحيدة على مبعدة منهم .

ولم يكن هناك ما يحمل هرمان أو زملاءه على الخوف من فرارها فقد كانت يداها موثقتين وراء ظهرها ، كذلك كانت قدماه مشدودتين بحبل بطريقة تسمح لها بالسير ببطء .

كانت الفتاة هادئة رابطة الجأش لايبدو على وجهها شيء من علائم الخوف او الجزع .

وقد وقفت حيث تركوها ، مرفوعة الرأس شامخة بأنفها كأنها لاتقيم وزنا لما يحدث حولها .

أسند لوبين يده إلى الأرض ، والتقط حصاة صغيرة ، وصوبها الى سونيا ، وقذف بها .

وقد أصابت الحصاة ساعد سونيا ، ولكن الفتاة لم تنظر حولها على الفور ، حتى لا تلفت اليها الأنظار .

ولم يسع لوبين إلا أن يبتسم ، والا أن يقرر مرة أخرى أن هذه الفتاة المرفهة هى من اذكى الفتيات اللواتي قابلهن فى حياته ، وأن الطبيعة هيأتها للمغامرات اكثر مما هيأتها لتكون ابنة مليونير .

نعم ، لم تذهب دقة الموقف بلبها ، ولم تمنعها من ملاحظة اقل الظواهر وردها إلى أصولها .

وقد شعرت بالحصاة ترتطم بساعدها .. فلم تظهر علي وجهها علامات الدهشة أو الفرح ، وادركت على الفور أن الذى قذفها بهذه الحصاة لا بد أن يكون أحد الرجلين اللذين وضعت مصيرها بين

آيديهما ، وفهمت أن هذا الرجل على مقربة منها . وأن اية حركة جانبية من جانبها ربما تؤدى إلى الافتضاح ، فكتمت شعورها.

على انها ما لبثت أن حولت بصرها بشكل بسطة إلى الناحية التى انقذفت منها الحصاة ، وعندئذ رفع لوبين راسه بين الصخور ، فرأته الفتاة . وخيل اليه انها إبتسمت.

(•)

وتحرك القوم مرة أخرى ، وعادوا جميعا إلى الشاطىء . وهناك نقلت سونيا إلى قارب صغير كان راسيا بالقرب من الزورق البخارى ورافقها كل من هرمان والرجال الثلاثة الذين جاءوا بالزورق البخارى ثم اعمل الرجال المجاذيف فى جانبى القارب فراح يشق الماء نحو الباخرة .

(•)

خرج لوبين من مخبئه ، ورأى كل ذلك ، وسأل نفسه ، ترى لماذا ترك الزورق البخارى بالقرب من الشاطىء؟

وعرف الجواب فى الحال .

لابد أن الزورق ترك هناك ليستخدمه ماريوس أو الأرشيدوق أو الاثنان معاً فى الانتقال إلى الباخرة .

وإذن فماريوس والأرشيدوق لم يسبقاه إلى الباخرة !!

وفرك لوبين يديه بارتياح.

شعر بأن ساعة العمل قد حانت ، وبأن نقل سونيا إلى الباخرة معناه أن المعركة قد بدأت.

اخذ يثب فوق الصخور وينحدر نحو الشاطىء بسرعة ، ولكنه مالبث ان رأى ضوء المصباح يقترب ، فادرك ان الرجال الثلاثة (اعضاء عصبة الأمم) عائدون ادراجهم إلى المنزل .

ابتعد عن الطريق وكمن بين الصخور ؛ وادهشه ان يمر به رجلان فقط .

تساءل : وابن الثالث ؟

ولكن الوقت لم يكن يتسع للتفكير ، فتريث حتى ابتعد الرجلان ثم استانف زحفه نحو الشاطىء وهناك رأى الرجل الثالث جالسا بالقرب من الزورق البخارى.

واستمر لوبين يتقدم بسرعة ، وسمع الرجل وقع خطواته بين الصخور وهتف بالايطالية :

ـ من هذا ؟

ورأى لوبين ان الوقت مناسب للعمل ، فقد ابتعد القارب من ناحية ، وابتعد الأسبانى والألمانى من ناحية اخرى ، فاذا اتفق وتمكن الايطالى من الصياح ، فان احداً لن يسمع صيحته .

وبعد ، فقد كان لوبين مصمما على الا يترك له فرصة للصياح .

هتف الايطالى مرة اخرى :

ـ من هذا ؟

فأجابه لوبين بالإيطالية كذلك :

ـ انا الرجل الذى يريد انتزاع روحك .

ففتح الرجل فمه ليقول شيئا ، ولكن لوبين وثب عليه ، وعاجله بلكمة القته على الشاطىء فاقد الرشد .

غمغم لوبين :

ـ ها نحن قد تخلصنا من مندوب إيطاليا فى العصبة .

وحمل الرجل على كتفه ، ووثب به إلى الزورق البخارى .

« • »

وضع خطته بسرعة ، وشرع فى تنفيذها .

اجلس الايطالى الفاقد الرشد امام عجلة قيادة الزورق ، ثم بحث فى الزورق حتى عثر على قطعة من الحبل فقطعها بخنجره إلى جزأين ربط احدهما فى الجانب الأيمن من عجلة القيادة وربط الآخر فى الجانب الأيسر منها .

ثم عمد إلى ثيابه فانتزعها كلها .

كان يعلم ان جسده لا بد ان يبتل ، ولكنه اشفق على ثيابه الأنيقة من البلل ، ثم انه لم يكن يريد ان يقابل خصومه فى الثوب الذى ولدته فيه امه فحزم ثيابه جميعا فى قميصه ، ثم وضع الحزمة فوق رأسه ، وشدها إلى رأسه بقطعة حبل حزمها تحت ذقنه .

وادار محرك الزورق بغير عناء ولما بدأ الزورق يتحرك فى الماء أمسك لوبين بطرفى الحبلين اللذين شدهما إلى عجلة القيادة .. ثم ألقى بنفسه فى الماء فاجتذبه الزورق وراءه . وراح يشق طريقه نحو الباخرة .

* * *

واستمر الزورق فى طريقه .. ولوبين يوجهه بواسطة الحبلين اللذين ربطهما بعجلة القيادة .

كانت عملية شاقة متعبة ، اعتمد فيها لوبين على قوة يديه اللتين أمسك بهما قطعتى الحبل .

ولكن الحبل كان خشنا ، وكان الزورق يترك وراءه خيطا زاخرا من الزبد ، وقد شرق لوبين مرارا بالماء يكاد يخنقه ، ويحبس أنفاسه .

ووجد لوبين لزاما عليه أن يسير بالزورق فى خطوط متعرجة ليتسنى له دائماً أن يرى الباخرة ، وقد ضاعف ذلك من عنائه ومتاعبه .

وفجأة سمع لوبين صياحا من ناحية الشاطىء ، فادرك أن صوت محرك الزورق لا بد قد نبه الألمانى الاسبانى اللذين بقيا على الشاطىء .

سمع الصياح ولكن ضجيج المحرك وهدير الماء كانا يملآن اذنيه فلم يتبين معنى هذا الصياح .

وأخذ الزورق يقترب من الباخرة بسرعة ، فشرع لوبين يستعد للخطوة التالية .

وبغتة ، دوى صوت طلق نارى من ناحية الباخرة ، فابتسم لوبين . كان يتوقع هـذا ، ولذلك اجلس المندوب الايطالى أمام عجلة قيادة الزورق .

ووصل الزورق إلى حيث توجد الباخرة . وبدأ يمر بها .

ورأى لوبين السلسلة الحديدية التى يتدلى منها المرسى ، وأدرك أن ساعة العمل الحاسم قد ازفت ، فترك الحبلين ، وقذف بنفسه نحو السلسلة ، وأمسك بها ؛ ثم تريث ليلتقط أنفاسه ، وليرقب ماسوف يحدث .

رأى الزورق البخارى يمر بالباخرة ويهيم بين الأمواج .

ثم سمع طلقين ناريين من سطح الباخرة .

وشعر فى الحال بان أمامه فرصة لا يمكن ان تتكرر ، لأن جميع الأنظار كانت وقتئذ متجهة نحو الزورق البخارى ، فاذا هو صعد إلى الباخرة ، فان أحدا لن يشعر به .

امسك السلسلة الحديدية بيديه ، واخذ يرقاها بسرعة حتى بلغ إلى حافة الباخرة .

وفى هذه اللحظة دوى طلق نارى آخر ، فنظر لوبين نحو البحر ورأى المندوب الايطالى واقفاً فى الزورق وهو يصيح ويلوح بيديه .

استمر الرجل يصيح مستغيثا ، ولـكن ضجيج المحرك والأمواج حجب صوته .

ودوت رصاصة اخرى ، فرفع الايطالى التعس يديه إلى صدره ، ثم لوح بيديه فى الفضاء ، وسقط فى لجج المـاء .

الفصل السابع

فاسيلوف

سمعت سونيا ديلمار الطلق النارى الأول وهى تصعد من القارب إلى الباخرة بواسطة السلم المصنوع من الحبال الذى ادلى من الباخرة لهذا الغرض .

وكانت قبل ذلك قد سمعت دوى محرك الزورق ؛ ورأت الشبح الجالس امام عجلة القيادة ، فلم يداخلها شك فى ان قائد الزورق هو لوبين بعينه .

ولـكنها دهشت ، اذ خيل اليها عندما رأت لوبين علي الشاطىء انه لا ينوى ان يبدأ العمل فى الحال ، وإلا لا نتهز تلك الفرصة . وهاجم الرجال الذين يحيطون بها ، وقام باية محاولة لانقاذها قبل ان تنقل إلى الباخرة .

فـكيف اذن اضاع تلك الفرصة ثم جاء الآن لانقاذها فى زورق يسمع دوى محركاته على بعد عدة اميـال .

قلبت هـذا السؤال فى ذهنها ، ولـكنها لم تحاول البحث عن الجواب .

كانت فى شغل بملاحظة كل صغيرة وكبيرة حولها فاسترعى نظرها النظام البديع الذى شهدته . كان كل واحد من رجال ماريوس يؤدى عمله فى جو من الهدوء والنظام يختلف كثيراً عن كل ما قرأته فى القصص والصحف عن رجال العصابات .

سمعت دوى الرصاص مرة اخرى فارسلت بصرها نحو البحر ، ولكنها لم تتمكن من رؤية الزورق .

وعندئذ فتح احد البحارة باب غرفة ، وادخلها واغلق الباب بالمفتاح .

« • »

وقفت سونيا فى الغرفة حائرة مترددة ، ثم رأت النافذة الصغيرة التى بالغرفة ، وامتلأت اذناها بدوى محرك الزورق ، فاسرعت إلى النافذة واطلت منها .

وفى هذه اللحظة دوى الطلق النارى الأخير ، فرأت شخصا يترنح فى الزورق ثم يسقط فى الماء .

تهالكت على مقعد قريب ، واغمضت عينيها .

لم تشعر بشىء من الانفعال .

لم تشعر بالحزن ، او الذعر ، او اليأس .

سوف يتسع الوقت فيما بعد لأمثال هذه المشاعر ، اما فى تلك اللحظة ، فانها لم تشعر بشىء على الاطلاق .

كانت تشعر فقط بانها تعيش فى جو من الخيال ، بعيد عن الحقيقة .

لم تصدق انها وحيدة فى تلك الباخرة ، ينتظرها مصير مجهول . وان الرجل الوحيد الذى يتعلق به املها فى النجاة قد ابتلعته امواج البحر .

لم تتحرك ، ولم تفكر فى شىء ، الى ان ابتعد صوت محرك الزورق وتلاشى ، وساد حولها سكون تام .

عندئذ فقط فتحت عينيها ، واجالت الطرف حولها .

وجدت نفسها فى غرفة فسيحة ، ذات اساس فاخر ، ورأت حولها مقاعد ومائدة صغيرة ، وطاولة للكتابة قد تبعثرت فوقها الأوراق . ودولابا صغيرا مليئا بالكتب .

ورأت فى نهاية القاعة ستارا ترجح لديها انه يخفى وراءه فراشا . ولكنها لم تكلف نفسها عناء الانتقال من مكانها للتحقق من ذلك .

ثم شعرت فجأة بان الباخرة تتحرك ، ولاح لها الشاطىء ، ورأت على الشاطىء ضوء يتألق ويتلاشى ، ويتألق مرة اخرى ، ويتحرك إلى اليمين وإلى اليسار ثم يتلاشى ، فادركت ان تلك شارة متفق عليها بين ربان الباخرة وشخص على الشاطىء . ولكنها لم تفهم معنى هذه الشارة . .

« • »

اغمضت عينيها مرة اخرى . وشعرت برغبة شديدة فى ان تبكى

او ان تصرخ فى ذعر وفزع . ولكنها لم تفعل شيئا من ذلك .

كانت مذهولة . خائرة القوى . ولم تفق من ذهولها وخوارها إلا عندما فتح باب غرفتها بعد فترة من الوقت .

نظرت إلى الباب لترى من القادم فرأت رجلا طويل القامة . حسن الهندام يرتدى ثوبا ابيض مزركشا من الذهب .

قال الرجل فى ادب :

- طاب مساؤك يا آنسة ديلمار .

فصعدته الفتاة بعينيها ثم سألته :

- هل انت قبطان هذه الباخرة ؟

فاطرق برأسه علامة الايجاب وقال :

- ولكنى لاضلع لى فيما اصابك او يصيبك . المسئول هو السيد الذى اعمل فى خدمته .

- ومن هو هذا السيد ؟

- ليس مسموحا لى ان اذكر لك اسمه .

« . »

وكان الرجل يتكلم بالانجليزية السليمة . وبلهجة تدل على انه امريكى .

قالت سونيا :

- ولكن ذلك لايعفيك من المسئولية امام الحكومة الأمريكية ؟

- لااظن ذلك يا آنسة .

- وستكون مسئولا كذلك امام الحكومة الانجليزية عن جريمة الاختطاف .

فهز كتفيه واجاب :

- انى لم اختطفك يا آنسة . وبعد فان الحكومة الانجليزية لن تعلم من الأمر شيئا .

فصمتت الفتاة لحظة ثم سألت :

- وماغرضكم من اختطافى ؟ هل تطمعون فى الحصول على فدية من ابي !

- الا تعلمين الغرض من اختطافك !

- كلا .

- انى جئت خصيصا لأحقق من ذلك . فاصغى إلى .

وجلس امام طاولة الكتابة . واشعل لفافة تبغ . ثم قال فى هدوء :

- لقد جيء بك إلى هنا . ليعقد قرانك على مسيو فاسيلوف . وسيتم هذا الزواج سواء رضيت او لم ترضى . ولدينا اكثر من شاهد واحد سوف يشهدون على صحة هذا الزواج ، ويقررون عند الضرورة إن الزواج تم برضاك .

لقد قيل لى انه من الضرورى ان تقترنى بمسيو فاسيلوف . ولكنى لا اعلم لماذا .

لم تدهش سونيا لهذا النبأ فانه كان يتفق مع مجموعة الاستنتاجات التى تفتق عنها ذهن لوبين .

كل ما هنالك ان شعورها بزيف موقفها وبعده عن الحقائق الملموسة تضاعف ، حتى خيل اليها أنها فى حلم لا فى يقظة .

سألت اخيراً :

— ومن هو فاسيلوف هذا ؟

ـ لا اعلم ، اننى لم اتحدث اليه ، ولم اره غير مرة واحدة حين جاء الى هذه الباخرة امس .

وقد لزم غرفته منذ جاء ، فلم اره بعد ذلك .

ـ الا تستطيع ان تصفه لى ؟

فهز القبطان كتفيه وقال :

— كل ما اتذكره عنه انه طويل القامة ، يضع على عينيه عوينات سوداء ، وله شارب قصير .

— والى اين تذهبون بي ؟

— إلى لننجراد .

— ثم ؟

— لا اعلم ، ذلك يتوقف فى الغالب علي مسيو فاسيلوف ، اما انا فمهمتى تنتهى فى لننجراد .

ولاحظت سونيا ان الرجل يتكلم ببساطة وقلة اكتراث ، كما لو كانت كل مهمته ان ينقل شحنة من البضائع الي احدى الموانىء .

سألته :

— الا تشعر بشىء من الفضول إلى معرفة حقيقة مهمتك ؟

ـ ان الأجر الذى قبضته قد ابرأني من مرض الفضول .

ـ انك تقوم بعمل يعاقب عليه القانون ، بل تعاقب عليه جميع القوانين .

ـ ان الرجل الذى استخدمنى كفيل بحمايتى وهو رجل قوى واسع الغنى والنفوذ .

فاطرقت برأسها ثم سألت :

ـ ولكن هل تعلم من انا ؟

ـ لم يحدثنى احد عنك ، ولم يدفعنى الفضول الى الاستفسار .

ـ إن ابى من اغنى الناس فى امريكا ، وفى استطاعتك ان تفيد منه اكثر مما تفيد من الرجل الذى تعمل الآن فى خدمته .

فاجاب وهو يبتسم :

ـ إننى ممن يؤمنون بصدق المثل القائل « عصفور فى اليد خير من عشرة على الشجرة »

ثم نهض واقفا واستطرد :

ـ هل اقول لمسيو فاسيلوف انك على استعداد لاستقباله .

فلم تجبه ، واحنى الرجل قامته بمزيج من الاحترام والتهكم وانصرف .

« ٠ »

وبقيت سونيا فى مكانها لاتبدى حراكا .

كانت كل مشاعرها ترفض ان تصدق شيئا مما يدور حولها ، ولذلك

تحجرت حواسها عن كل شعور آخر، غير الشعور بأنها فى حلم.

أبت ان تصدق انها مشدودة اليدين والقدمين فى باخرة فى عرض البحر، ولا امل لها فى النجاة، وانها توشك ان تزوج من رجل سمعت اسمه للمرة الأولى منذ دقائق، ولم تره قط فى حياتها.

أبت أن تصدق شيئاً من ذلك، فأمثال هذه المواقف لا وجود لها إلا فى القصص الخيالية. أو على الشاشة البيضاء. وقد سبق لها أن قرأت وشهدت روايات من هـذا النوع. ولكنها لم تصدق قط أن خيالات المؤلفين يمكن أن تتحقق على مسرح الحياة.

« »

وفتح الباب مرة أخرى. فرفعت سونيا عينيها. ورأت القادم. كانت تنطبق عليه جميع الأوصاف التى ذكرها القبطان. فهو طويل القامة. قصير الشـاربين واللحية، يضع على عينيه عوينات سوداء، ويرتدى معطفاً طويلا سميكا يغطى نصف لحيته إلى اخمص قدميه.

وقال لها الشاب كأنه يعرفها منذ سنوات:

ـ طاب مساؤك يا سونيا.

فأجابته بهدوء واحتقار:

ـ انت فاسيلوف على ما اظن.

ـ نعم، اسمى الكسيس فاسيلوف.

فقالت: كان لى فيما مضى كلب يدعى الكسيس، انه اظرف اسم يمكن اطلاقه على. على كلب.

فقهقه الشاب ضاحكا وقال: سيكون لك بعد دقائق زوج بهذا الاسم وجلس على مقعد بالقرب منها، وعقد اصابعه حول ركبته، وقال وهو يتأملها: انت جميلة، وذلك مما يدعو إلى السرور، لقد قالوا لى منذ البداية انك جميلة

كان صوته ثاقباً، حاد النبرات. فشعرت الفتاة بالاشمئزاز. سألته فى هدوء: ومن ذا الذى قال لك ذلك.

ـ آه. هل يهمك ان تعرفى! ـ هذا طبيعى.

ـ قال لى ذلك احد اصدقائى.

ثم استطرد وهو يهز رأسه:

ـ لا شك ان السير جون ليسنج سيأسف على انه فقدك.

وحلق فى وجهها طويلا ثم اردف:

ـ هل تحبينه يا سونيا. هل تحبين ليسنج.

ـ وهل يهمك ان تعلم ذلك!